دار الهدى الزاهرة

الحائرون

مجموعة آمال وآلام

بقلم

عبد سلطان

١٩٥٢

oberkandl.com

obeikandl.com

عبده سلطان

رائد ندوة الشرق للأدب والتعارف

obeikan.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل نفس حائرة معذبة شربت
من كأس الحياة حتى ثملت
حاضرها فراحت تهيم بروحها
في وادي الذكريات ...

عبير سلطان

دنيـــا ؟

هذه الدنيا التى نعيش فيها ماهى إلا ساحة للتسابق، ندخلها مؤملين متفائلين ثم لا نكاد نبدأ الركض فيها حتى يأخذ منا التعب مأخذاً فتتقوس ظهورنا وتنحنى رؤوسنا ونحمل آلام الدهر فوق أكتافنا فمنا من يقضى ومنا من يعمل .. بعد أن يكون حطاما !.

فيا من أتعبتكم السباحة فى بحر الحيرة .. ويامن سرحت أفكاركم فى عوالم أخرى باحثة عن السلوى وعادت إليكم وهى مبللة بدموع الذكريات .. يامن تعيشون على أطلال الماضى.

إليكم أقدم كتابى الأول « الحائرون » ومن مكارمكم ألتمس العذر لى فى تسميته بهذا الاسم لأنى كتبته بقلم حائر .

فان طابت لكم عباراته .. فتقبلوه.

وإن ظهر لى غيره .. فاطلبوه.

المؤلف

يوم مشهود

حقيقة أنه ليوم مشهود هذا الذى خرجت فيه مصر على بكرة أبيها لتعيد مجدها وتنفض عن ردائها غبار السنين فلقد رأيت مواكب الفخر مزدانة بتلك اللوحات المعبرة الصارخة فى وجه الغاصب (دماؤنا فداء بلادنا) .

بل رأيت ما أثلج صدرى وملأ نفسى بهجة وخيلاء .

رأيت العامل والفلاح والجندى والموظف والفتيات والسيدات ، رأيت الشعب كله وقد جمع الكلمة وعقد العزم وتناسى ما كان بينه من حزازة أو تفرق ، وتصافحت الأيدى واشرأبت الأعناق واعتلت الابتسامة الثغور ولسان الحال عند الجمع يقول (كلنا فداؤك يامصر) .

فأبشرى يامصر : أبشرى أيتها الأرض الطيبة مادامت تلك الروح الوثابة فى صدور أبنائك . أبشرى فبإذن الله سنمحق أعداءك .

وصار الموكب الصامت الرهيب ، سارت الألوف المؤلفة وعلى لسان كل منهم كلمة يود لولا احترام الصمت لانطلق بها صارخا (لبيك يامصر لبيك روحى ونفسى بين يديك) .

١٤ نوفمبر سنة ١٩٥١ يالله من يوم كتب فى التاريخ بحروف من نور ليكون هدى وبشرى لأبناء الوطن الصابرين المكافحين .

يا أبناء مصر . يا سلالة الفراعنة إن دماء إخوانكم الشهداء تلك الدماء الكريمة التى شربت من ماء النيل العزيز والتى سفكها السفاحون فارتوت بها أرض النيل ، هذه الدماء الحبيبة لن تزيدنا إلا استمساكا بحقوقنا واستبسالا فى قتالنا وتضحية فى سبيل بلادنا . فسيروا على بركة الله مادامت الحرية غايتنا والحق رائدنا . ؟

صوت الشهيد

إلى كل ابن من أبناء العزيزة . . . مصر

فى ليلة قارسة من ليالى الشتاء بينما كنت فى الطريق الى دار احد الأصدقاء أبصرت غادة هيفاء جالسة خلف نافذتها وهى سارحة بنظراتها فى صفحة السماء وما كدت أقترب منها حتى توقفت ساهما لأرى الدموع تنحدر من مآقيها وتنعكس على الضوء الشاحب فتزيد من روعة جمالها الحزين ، وسمعتها تنشد بصوت رقيق ملىء بالأسى (يا من ناداك الوطن فلبيت النداء) .

رأيت ذلك المشهد الرهيب وسمعت تلك الكلمات التى تتناجى بها هذه الحسناء فالتاعت نفسى وتشوقت لسماع قصة هذا الذى تناجيه .

ولكننى ما لبثت أن أغلقت النافذة فسرت فى طريقى متمثلا صورتها الدامعة أمام عينى ، وكان صديقى يجاورنى فى المسكن فما كاد يلقانى حتى رأى التأثر باديا على قسمات وجهى فسألنى السبب فرويت له ما شهدت وما سمعت فقال لى : إن هذه الشابة قد فقدت زوجها الحبيب فى الشهر الأول من زواجها إياه .؟

قلت — كيف ذلك . ؟

فقال — الم تقرأ عن الضابط (منير فتحى)

قلت — نعم قرأت عنه وأعجبت بشجاعته .

قال — إن هذه التي رأيتها زوجته . ولها قصة طويلة أعرفها كل المعرفة

قلت : بالله خبرني بها . !

فتنهد ثم قال في هذا الحي منذ أعوام نشأ (منير) في كنف أسرة صغيرة مكونة من أب كريم وأم حنون عطوفة لا يهمها في الحياة سوى سعادة وحيدها وهنائه .

في وسط هذا العطف والحدب نما منير وترعرع فكان مرحا في طفولته طروبا في صباه ضاحك الأسارير في شبابه . طوى أيامه الأولى في بحبوحة من العيش حتى ذلك العام الذي بدأ فيه القدر يكشر له عن أنيابه إذ مات أبوه في بدايته . وفقد الفتى بفقده الحنان والعطف الأبوي ، وكان في العشرين من عمره حينذاك . ولم يبق له سوى عام واحد حتى ينال بعده الشهادة التي كان يمني نفسه بها ويأمل أن تدفعه في ظل أبيه ليكون ذا مكانة مرموقة ، ولكن تلك الآمال التي كان يبنيها في خياله ما لبثت أن تهدمت وتلاشت يوم أن مات أبوه .

أخذ المسكين يتابع دراسته بقلب ملىء بالآلام والأحزان . وكانت عيناه تذرف الدم مدرارا كلما ثارت ذاكرته بأبيه . ولم يكن ثمة مخفف لآلامه سوى (عواطف) تلك الحسناء التي رأيتها الليلة يا صديقي إذ ساقتها إليه الأقدار لتجفف دموعه الساخنة بمنديلها المعطر بعطور الحب .

أجل . كانت عواطف تقطن في دار مجاورة لدارهم وكانت تتودد إليه من آن لآخر حاملة له بين جنبيها قلبا كبيرا يخفق بالحب والوفاء ، وكانت إلى جانب أمه لا تألو جهدا في سبيل سلواه حتى أحس بأنها توأم نفسه ومرآة آماله . فبسط لها قلبه لتعزف بأناملها الرقيقة على أوتاره فتسمعه أجمل ألحان الحياة .

ولكن الأقدار التي صيرت حياته وفقا لهواها أبت عليه أن يتمادى

فى سعادته فرشقته بسهم اخر اصابه فى الصميم . إذ كان أبوه مدانا لإحدى الشركات بمبلغ ضخم لم يسدده رغم فوات الأوان فأوقفت حجزها على آخر سبيل لهم فى الحياة هو (المنزل الكبير) .

وانتقل منير مع أمه إلى بيت صغير فى نفس الحى بعد ما أصبح كالغارق فى بحر متلاطم الأمواج ليس له شاطىء ولا قرار .

وأخذ ينظر بعين البؤس لما وصل إليه حاله بعد أن كان فى عز تالد وخير عميم .

ترك الدراسة والتحصيل وراح يشق لنفسه طريقا فى الحياة بعد أن جعل من الرسم حرفة له وقد كان يجيده أيام دراسته ، وصار يستوحى من حياته لوحات لو قدر لها أن تنطق لانطلقت تعبر أصدق تعبير عن حياة الفنان البائس . فى هذه المحنة التى وقع فيها منير كانت (عواطف) إلى جانبه تشاطره آلامه وتقاسمه أحزانه حتى بيت العزم فى نفسه أن يحظى بتلك المحبوبة الوفية التى شاركته الكثير من بؤسه وشقائه .

وفى جلسة هادئة جمعت بين أمه وحبيبته تقدم منير من عواطف وأخرج من جيبه خاتما صغيرا ووضعه فى إصبعها بحنو بالغ وابتسامة رقيقة . ثم ضمتها أمه إليها وقبلتها قبلة شكر وتقدير ، ومضت أيام قلائل كانت (عواطف) تتردد على خطيبها فى الاستديو الذى اتخذه فى حجرة منفردة كانت للبستانى فيما سبق وكانت فى كل مرة تتناول الريشة وتعالج الرسم حتى اكتشف فيها سيماء العبقرية فأخذ يلقنها أصول هذا الفن الجميل فشربت من منهله حتى رويت روحها الفنانة .

وفى الشهر التالى عقد قرانهما واجتمعت روحاهما فى محيط واحد .

وذات ليلة بعد أن فرغ منير من عمله جلس إلى جانب المذياع وإذا بالمذيع يعلن فى ثقة أن مصر قد هبت لإنقاذ شقيقتها العربية من براثن الأعداء

الناصبين ، فهم منير واقفا والدم يصعد إلى جبينه حاراً قويا وفتح يده في عصبية وأقفلها كأنه يتخيل نفسه وهو يسحق العدو بين أصابعه .

وفي الصباح ظهرت الصحف وبها نبأ الحرب فكانت بمثابة دافع جديد لمنير كي يقدم نفسه جندياً في صفوف المتطوعين ..

ثم عاد إلى أمه ليخبرها أن الوطن ينادي أبناءه وهو لن يتوانى عن تلبية ندائه . وكانت مفاجأة غير منتظرة للأم العجوز جعلتها تهتز فرقا وتقول

ـ لماذا يا بني؟ ولمن ستتركني؟

فرد عليها في حماس بالغ

ـ من أجل الوطن وسأعود إليك يا أماه وإذا لم يقدر لي العود فلك الله . . والوطن .

وأشاحت الأم بوجهها قليلا لتخفي دمعة انحدرت على وجنتيها . ثم ضمته إليها وقالت :

ـ أنت إبني وابن الوطن أيضاً وما خوفي عليك سوى تلبية لعاطفة المرأة الضعيفة . هكذا نحن الأمهات ياولدي نعرف كل واجب علينا ولكن حنان الأمومة يتغلب علينا .

رأى الدموع تنحدر من عيني أمه فقال مطمئنا إياها :

ـ لن أتغيب كثيراً فلا تبك ياأماه . لاتبك فدموعك هذه تحز في نفسي

وتحسست الأم وجه وحيدها كأنها لم تره من قبل ثم قبلته في جبينه قبلة أودعتها كل حنانها وقالت :

ـ رافقتك السلامة ياولدي .

وكان وداعا حارا بين الزوج وزوجته . . زوجته التي كتمت ثورة قلبها ولم تمانعه في الذهاب إلى الميدان مع إخوانه أبناء الوطن ..

وعلى رمال الصحراء في القطر الشقيق ألقى منير عصا ترحاله وتوالت

الأخبار عن بسالته ونضاله وتقديرا لما يبذله من جهاد جبار رقى إلى رتبة ملازم ثان إعترافا بشجاعته وإقدامه ولم يفته الفن هناك أيضا بل كان يرسم على الرمال صورة زوجته الحبيبة أثناء راحته القصيرة . وكان يرسم أيضا كل موقعة تمر بها فرقته حتى لقبوه بالضابط الرسام . .

وذات ليلة .. تلقى من القيادة تعليمات لهجوم مفاجىء على بعض مواقع العدو وكانت ليلة ليلاء ، كانت الخطة تقتضيه أن يتقدم برجاله نحو الهدف تارة يتسللون وتارة يزحفون على بطونهم .

وما أن وصلوا إلى هدفهم المعين حتى أشار منير لأحد الجنود فتقدم فى بسالة وألقى بأول قنبلة فأيقظت رجال العدو من ثباتهم وراحوا يطلقون الرصاص الطائش فى كل ناحية وما كاد منير يسمع صوت الرصاص المصوب نحوهم حتى أمر رجاله بتحطيم الأهداف مرة واحدة فانهالوا عليها بضربات لاتبقى ولاتذر .

فكان الأعداء يتناثرون أشلاء متباعدة بين صياح منير

ـ حطموهم .. إسحقوهم ، نحن فى بلادنا لا تأخذكم بهم رحمة .

وعلى حين غرة صمت هذا الصوت على آهة ألمة من رصاصة غادرة قد استقرت فى صدره فسقط على الأرض يصارع الموت فى جهاد مرير ، وهو لايزال يهمهم بصوت حبيس

ـ اسحقوهم . . اسحقوهم .

وتقدم أحد الجنود من ضابطه ليعاونه على النهوض ولكنه كان خائر القوى فاكتفى بأن صاح فى وجه الجندى بما يستطيع من صوت

ـ إتركنى . وعد إلى إطلاق النار العدو أمامنا .!

وكانت هذه الكلمات من الضابط الجريح كأنها روح وثابة وقوة جديدة انبعثت بين جنوده فما لبث رصـــاص الأعداء أن صمت صمتا أبديا

بعد ماهرب منهم من هرب .

وفى اليوم التالى كتبت الصحف فى صدر صفحاتها الأولى نبأ استشهاد الضابط الباسل (منير فتحى) بعد أن سجل اسمه فى سجل الشرف والفخار

وقع الخبر على الأم المسكينة والزوجة المسكلومة وقع الصاعقة فسقطت الأم فريسة مرض (الفالج) وظلت عواطف إلى جانبها متشحة برداء أسود قاتم وفى عنقها أيقونة صغيرة وضعت بداخلها صورة (منير) .

وإنها لفى ذلك الوقت من كل ليلة تأتى إلى تلك الحجرة التى رأيتها وهى تطل من نافذتها لأنها لم تجد عزاء سوى التطلع إلى مارسمه زوجها وتناجيه فيما ترك من آثار خالدة .

هذه هى قصة منير ياصديق الذى ناداه الوطن فلبى النداء . .

* الرجل الذى تؤلمه أسنانه يظن السعادة المطلقة لمن سلمت أسنانه ؛ كذا الفقير يعتقد أن السعادة لمن توفر له المال .
* ثلاثة أشياء قليلها كثير الفقر ، العداوة ، النار .
* قل للذى بالمال والجاه مااقتنع
ماطار طير وارتفع إلا كماطار وقع
* يتبع الميت إلى قبره ثلاثة . يرجع اثنان ويبقى واحد لايفارقه أبدا !! يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله
* ومالناس إلا هالك وابن هالك وذو نسب فى الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق
(نواس)

المرأة .. والبرلمان

سئل نابليون مرة أى حصون فرنسا أمنع ؟
فقال : المرأة الصالحة ؟!

فى هذه الفترة التى تطالب فيها المرأة بحقوقها كاملة لتقف إلى جانب الرجل سواء بسواء أرى بعض زملائى الكتاب قد انقسموا إلى فريقين . فريق يؤيدها فى مطالبها . وفريق يناصبها العداء . . ولست أدرى إلى أى الفريقين أنتمى أو مع أيهما الصق رأيى . ففى جلسة هادئة التقيت بزميل عزيز من الفريق الثانى ودار بينى وبينه حديث طويل عن المرأة فقال لى :
اترغب فى سماع شىء عن نشاط إحداهن قلت : نعم
قال ــ سألتها ذات يوم وكانت تربطنى بها صلة الزمالة
ــ أتفضلين الزواج أم العمل . . ولماذا . .؟
قالت ــ أفضل العمل لأنى سأطالب بحقوق المرأة المهضومة وأكون اتحاداً جديداً للفتيات و . . و . .
قلت ــ إن مصر قد ضاقت بمثل هذه الإتحادات فماذا استفاد منها العامل أو الفلاح .؟
قالت ــ استفادوا جميعا بأن رأوا ابنتهم المصرية وقد أصبحت محامية فى دار القضاء أو طبيبة فى دار الشفاء وغدا ستكون نائبة تحت قبة البرلمان !
قلت ــ كل هذا جميل . ولكنه سابق لأوانه لأننا ما زلنا نتعثر فى

ثوبه حضارتنا . والطريق أمامنا طويل .

قالت ـــ أعلم ذلك ولذا سأعمل منذ الآن على أن أجعل من شقيقاتي المصريات خير دعامة للمجتمع الراقي الذي ننشده في الغد .

قلت ـــ أرجو ألا يتأخر ذلك الغد الذي تنظرن إليه بمنظاركن المكبر .

قالت ـــ سوف نرى وسأذكرك يا سيدي .

وقال زميلي : إن هذا الحديث قد دار بينه وبينها منذ أعوام وإنه قابلها بالأمس في دار صديق تراقص شاباً في مثل سنها . قال وما كادت تراني حتى أقبلت نحوي وعلى شفتيها ابتسامة عريضة فسألتها ـ ماذا وصلت إليه يا آنستي في جهادك من أجل المرأة ؟

قالت ـــ لقد توقفت عند مسألة هامة . غيرت مجرى حياتي .

قلت ـــ ماهي يا ترى تلك المسألة الهامة ؟

قالت ـــ الزواج يا أستاذ .

قلت ـــ ماذا ؟!

قالت ـــ الزواج يا سيدي . سأتزوج .

قالت هذا ثم نظرت إلى عيني لتقرأ آلاف الأسئلة . ؟

فقلت ـــ وأين ذهبت مشروعاتك واتحاداتك وصوتك الرنان ؟

قالت ـــ كل هذه الكلمات النـــاريه قد أطفأها موضوع الزواج الزواج هو دستور الحياة والمرأة الصالحة يمكنها أن تجعل من بيتهـــا مملكة صغيرة تقوم فيها بأهم أدوار الحياة .

قلت (مجاملا) ـــ أرجو لك زواجاً موفقا .

قالت ـــ شكراً لك .

وانسابت من أمامي كالغزالة الشاردة وعادت إلى فتاها ليكملا رقصة

(الساميا) .

وسألت نفسى : أحقيقة أن الزواج هو دستور الحيـــاة ثم رحت أستعرض كلماتها لى منذ أعوام ، لا . . لا لن أتزوج بل سأطالب بحقوق المرأة و .. و .. !؟

فهل تراها قد بالغت فى مطالبهـــا ؟ أم اكتفت بزوج ثرى وجاه عريض وعربة فاخرة ورضيت بأن تأكل وتمرح وتنام ثم تطالب بحقوق المرأة فى عالم الأحلام .

مهلا مهلا أيتها الحضارة الجارفة .

* كان ابن صفوان بخيـــلا مقتراً وكان يقول للدرهم إذا دخل يده:

ياعيار كم تعير وكم تطوف وتطير لأطيلن حبســـك.

ثم يضعه فى الصندوق ويغلق عليه .. وقد قيل له لم لاتنفق ومالك عريض ؟ قال : الدهر أعرض منه ..

وكم فى مصر اليوم من أمثال ابن صفوان ..

* كان العرب إذا اشتد عليهم البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران لجلب الضـــياف فرقوا الكلاب حول الحى وربطوها إلى العمد لتستوحش فتنبح وتهدى الضال فيأتى الأضياف على نباحها ..

مأساة فى رسالة

(هذه زهرة ذابلة انتزعها القلم من باقة البؤس ليهديها إلى كل صاحب لقب كبير فى هذا البلد)

كانت الساعة قد جاوزت الثانية بعد منتصف الليل ، وكان الجندى المكلف بحراسة كوبرى قصر النيل يسير بخطوات وئيدة ليبدد بقية الليل فى إعياء وتثاقل .

وفجأة اتجه ببصره نحو كومة من الملابس ملقاة إلى جانب السور فذهب عنه الاعياء ، وحث الخطى نحوها . وما أن صار أمامها حتى عرف أن هناك حادث انتحار قد وقع وأن هذه الملابس لابد أن تكون لشخص قد خلفها وقذف بنفسه بين الأمواج . وهنا تقدم الجندى وانحنى فوق الملابس يبحثها علّه يجد أثرا يبين شخصية المنتحر ، وفعلا عثر على بغيته إذ وجد رسالة داخل غلاف كتب عليه (يامن ستقع هذه الرسالة بين يديك .. أرجوك رجاء الأموات أن توصلها إلى أبى ، إنه ليس ببعيد عن هذا المكان لأنه ... بك المعروف ، وبك من وحى جزيل الثناء .)

وعلى ضوء المصباح الخافت أخذ الجندى يفض الرسالة ليقرأ ما بها فاذا به :

(أبى .. أكتب إليك هذه الرسالة وأنا جالس على الإفريز فى ركن

منفرد تحت مصباح هزيل من مصابيح شارع عماد الدين ، وقد نامت القاهرة وعم السكون إلا من صوت حذاء أحد الثمالى العابثين .

.. أردت أن أكتب إليك هذه الرسالة لأخبرك فيها بما يخالج نفسى ولأذكرك إن كنت قد نسيت أن لك فى الوجود قطعة من لحم هى .. أنا لا تغضب يا أبى ولا تثر ولا تمزق رسالتى هذه قبل أن تأتى على نهايتها لأن فيها سراً خطيراً يهمك أنت يا أبى .

ولكن قبل كل شىء أرجو منك أن تعود معى بذاكرتك إلى ذلك اليوم الذى ماتت فيه أمى وذرفت الغزير من الدمع ولا أدرى لماذا كان بكائى يومذاك .

ألفقدان أم كانت تطعمنى وتسقينى أم لشعورى بالحرمان من بعدها .

ولعله من العجيب ألا ينقضى العام على وفاتها حتى رأيتك تتزين وتتعطر وتخرج كل مساء لتعود ومعك فتاة فى سن الشباب تقول أنها زوجتك ، وأغدقت عليها من عطفك وحنانك حتى أنسيتها نشأتها وبيئتها ، .. بيئتها التى أنشلتها أنت منها يا أبى .

لا ألوم عليك زواجك من فتاة لا تناسبك سناً ولا مقاماً ولكنى ألوم عليك إهمالى وإذلالى أنا والصغيرة شقيقتى . نعم ألوم عليك نسياننا ليال بلا طعام وشهور بلا كساء ، وكنت صابرا وإياها على كل ذلك ونحن لا نعلم شيئا عن حياتنا الجديدة حتى ملأت هذه المرأة قلبك من نحونا فكرهتنى وكنت تطاردنى فى كل مكان بالمنزل الكبير . وكانت هى أيضا لا تألو جهدا فى سبيل إيذاء الصغيرة ابنتك .. لا لشىء سوى أنها لم ترزق أطفالا وتأبى أن يشاركها فى هذا الجاه العريض أبناء ليسوا لها .

هذه كل جريمتنا يا أبى ، ولعلك لم تفطن لها يوم أن قالت لك :

إن ابنك يدخن اللفائف ويحتسى الخمر . من أين لى يا أبى بثمن هذا ؟ ؟ وقد انقطع عنى المصروف منذ أن دخلت هذه المرأة بيتك وصدقتها حينذاك وكذبتنى وأرضيتها وطردتنى فى تلك الليلة ، وكانت أول ليلة يسجل فيها اسمى مع أبناء الشوارع . ليلة قاسية عاصفة ظللت أسير فيها يمنة ويسرة أشق الطرقات والميادين على غير هدى وكنت أود أن أقضى الليل هكذا ولكن قدمى الواهنتين لم تقو على حملى فانزويت فى ركن مظلم من أركان الطريق وقضيت فيه الليلى بين أكوام القمامة وفضايا القصور .

وتنفس الصبح عن آهة مكبوتة من فتى كان نائما بجانبى ولم أتبينه فى ظلام الليل . . ؟

وصحوت وصحا معى هذا الفتى الذى يماثلنى فى كثير من الأوضاع وانحنى وانحنيت معه لنجمع أعقاب اللفائف وأكلت مما يأكل مع زملائه الكثيرين وعشت كما يعيشون . وها أنذا مازلت فى الحياة بلا مطمح ولا أمل لأن الشقاء قد أعمانى عن كل ما حولى وأصبحت لا أفكر إلا فى شقيقتى المسكينة التى تركتها فى قصرك كخادمة بين الخدم مثابرة على إيذاء تلك المرأة الحبيبة إلى قلبك . . زوجتك !

. . ولكن أخشى ما أخشاه يا أبى أن تتمادى زوجتك فى معاملتها مع الصغيرة فتثور أنت عليها وتطردها كما طردتنى من قبل ويكون مصيرها كمصيرى بل وأشد سوءاً .

لا . لن أرضى يا أبى ولن ترضى البقية الباقية من رجولتك أن تهبط ابنتك إلى مستوى تأباه نفسك ، أما أنا فلا يهمك أمرى ولا تشغل ذهنك بى بل اجعله خاليا نظيفاً ليتسع لكل أكذوبة من أكاذيب زوجتك اللعوب التى جعلت من شهرتك سلماً ترتقيه إلى ما تبغى وأقامت من

طيبتك وتهاونك ستارا كثيفا تخفى وراءه سيرها المعوج .

كلمة كنت أود أن أقولها لك منذ الأسبوع الأول من زواجك بتلك المرأة ، ولكن خوفى عليك وحرصى على سعادتك وهنائك حالا بينى وبين الافضاء إليك بما فى نفسى .

أما الآن وقد غادرت بيتك وصرت شريداً هائما على وجهى كأى فتى من فتيان الطريق ؟ الآن فقط يمكننى أن أصارحك بتلك الحقيقة وأنا أعلم الناس بأنك لن تصدقنى أيضاً هذه المرة ولكنها الحقيقة المرة السافرة من كل قناع ؟ إعلم ياأبى أن زوجتك هذه عاشقة تقتسم الهوى المحرم مع شاب من أصدقائك المخلصين الذين يمرحون ويرتعون تحت سقفك ويأكلون ويشربون من مالك .. ذلك الفتى الذى كثيرا ما رأيته فى بيتك وابتسمت له وأنت لا تشعر بما يدور وراءك فى الخفاء ..

أبى . أنك ضحية بريئة أو ألعوبة صغيرة فى يد هذه المرأة ، فارفع الستار من أمامك لترى كل شىء ، اخلع ذلك المنظار الأسود من فوق عينيك ودقق النظر فسترى كرامتك المهضومة وأصغ السمع إلى صراخات شرفك المهدور . لا بد أنك ستعلم كل شىء إن لم يكن اليوم فغداً .

ولا بد أيضا أنك ستذكر تلك المرأة التى ذهبت وتركتنى وشقيقتى لنلاقى سوء العذاب من تلك التى سمت عليها .

سترى كل شىء بنفسك وستثور عليها للمرة الأولى ولكنها ثورة المغلوب على أمره كالجندى الأعزل فى ساحة الميدان .

لا تذكرنى يا أبى ولا تحاول أن تبحث عنى لأننى ذاهب إلى مكان مجهول يبغضه أمثالك المترفون ، وكل ما أرجوه منك هو رعاية شقيقتى لئلا تذهب مذهباً مشيناً وتكون وصمة فى جبين سمعتك ونكرة لاسمك

الرفيع وهذا مالا أرجوه لك لأنك أبى .. وتقبل وداعى)

.. ابنك

طوى الجندى هذه الرسالة وكان الفجر يرسل أنواره فيبدد قطيع الليل الباقية ، وتحرك بخطوات سريعة نحو قسم البوليس ليسجل حادثة انتحار جديدة ؟

شركة

الزهـــــــراء

الشركة المصرية المساهمة

التى وجدت لتكافح الاستعمار وترفع من شأن

الصناعة المصرية بها عدد أدوات هندسية

جميع لوازم الورش والمصانع

الزهـــــــراء

٢٠ شارع السبتية بمصر

ص . ت : ٦٢٠٣٥ ت : ٤٧٤٧٧

عهد مضى

عهد الطفولة عهد ذهبي يسخر بتعاقب الدهر وآلامه ويهزأ بالزمان وتقلباته .

فيه تسبح النفس فى عالم الخيال مترنمة بأناشيد الطفولة البريئة وأغانى الحرية الخالدة .

ماتذكرتك عهد طفولتى حتى شعرت بمنغصات محرقة فى قلبي وأحزان خفية فى نفسى . .

تذكرنى معاهد الصبا وملاعب الطفولة بعذوبة أيامك وحسن لياليك ، وماذكرتها حتى سال دمعى واهتز قلبى إلى أوقات مرت كالخيال وأزمان انقضت كالأحلام . أما الآن . فقد أصبحت مقيدا بقيود وأغلال كثيرة لتقاليد اخترعوها وتواميس وضعوها فأنا العصفور الحبيس فى القفص ، أنا السجين فى سجن ظلمات المجتمع .

يحق لى أن أنشدك أيها الحلم الجميل فى قفصى معذبا وفى سجنى متألما لما أقاسى من مرارة الحزن والأسى .

عهد طفولتى . فيك شاهدت ملائكة الرحمة والحنان ترفرف بأجنحة السلام فوق رأسى .

والآن أشاهد الشياطين تحوم حول نفسى ، عهد الطفولة . فيك تمتعت بالسعادة والحرية . والآن أقاسى أغلال العبودية ، عهد طفولتى فيك عرفت

الهدوء والدفء والحنان . والآن لا أعرف سوى الالام والأحزان .
فسلام عليك عهد الراحة والطمأنينة سلام عليك من فتى حزين أثقلته هموم الحياة فذكرته بخير أيام قضاها وأجمل ليال أمضاها .

ولقد كان يوما ذلك العهد وانقضى وما العمر الا يقظة ومنام . ؟

التجارة .. مكسب وخسارة ؟

فالتاجر الناجح هو الذى يكسب ثقة عملائه بالكلمة الصادقة والعمل الشريف ، وهذا ماينتهجه

محل

أمين سليم مرشاق

٢٣ شارع السبتية بالقاهرة

س ت ٣٤١٧٤ ت ٤٧٤٧٧

فيه للصناع والورش كل مايلزمها من عدد وأدوات ومايحتاجه من لوازم وغيارات . كذا أدوات المواسير على اختلاف أنواعها .

ربح قليل وبيع كثير

جنة الشياطين

.. إلى مئات الألوف من الشباب الطائر ...

(١)

عزيزى سامى .. ها أنذا أكتب إليك رسالتى الثانية شارحاً لك ما وصلت إليه مع تلك المرأة التى تقطن الطابق الثانى من نفس البيت الذى أقيم فيه ، والتى بدأت تغازلنى منذ الأسبوع الأول لإقامتى فى ذلك البيت ، ولقد عرفت فيما بعد أنها زوجة لرجل يكبرها بسنوات عديدة فهو فى خريف أيامه بينما هى فى ربيع صباها وقد رزقها بطفلين هما كل أمله فى الحياة . أما هى فليس بقلبها ذرة من حب لهذين الطفلين ، تعاملهما بشدة وقسوة لأنهما من ذلك الرجل الذى لاتحبه . ولولا ماله وجاهه لما ارتضت أن تلقى بنفسها بين أحضانه وهى الشابة الحسناء التى يشع من جسدها بريق الرغبة والاستجداء ويمتلىء قلبها بالعاطفة المكبوتة المحتدمة التى لايجد من يزكيها بعبارة رقيقة أو قبلة ثائرة ، لذا لقيتنى صيداً ثميناً فراحت تحيك لى من شباكها وتضيق على الخناق .

حتى ذلك اليوم الذى كنت أصعد فيه الدرج وإذا ببابها يفتح وتظهر

أمامى مرتدية ثوبها الحريرى البراق ومتزينة بأجمل زينة ورائحة العطر تفسح أمامها الطريق ، فتناغلت عنها بالصعود فنادتنى :

ـ عادل افندى .. عادل افندى

ـ افندم .

ـ وحياتك . باب الصالون سما كسنى . تسمح تفتحه لى .

ـ بكل محزونيه .

ودخلت معها شقتها الفاخرة وعالجت الباب فانفتح سريعا ونظرت إليها فوجدت الابتسامة العريضة على شفتيها فقلت :

ـ هل من خدمة أخرى ؟

ـ شكراً .. و ..

ـ إذاً فاسمحى لى بالأنصراف ..

ـ هكذا سريعا دون أن تشرب شيئاً .

ـ لاداعى لذلك لأنى مرتبط بمواعيد كثيرة .

ـ وهل مواعيدك أهم منى ؟

ـ ماذا .. !

ـ أقصد أن المواعيد تأخذ كل وقتك ، إنك فى حاجة إلى الراحة ، إلى الهدوء .

ـ الراحة . الهدوء ، يالها من كلمات جميلة لأنها من الخيال .

ـ لا . إنها ليست من الخيال . إنها من قلبى خالصة لك ، قلبى الذى بات ساهراً يناجيك منذ أن دخلت هذا البيت .

ـ أنا : شكراً لك ياسيدى على اهتمامك بى ، وأرجو أن أنصرف الآن .

وراحت تودعنى إلى خارج شقتها وتتابعنى بعينيها إلى أن دخلت شقتى كانت هذه أول مرة أدخل فيها بيت تلك المرأة بل أول مرة أراها

عن كثب وأتأمل وجهها النضر وخصرها اللولبي الرشيق وشعرها الذي يتموج على رأسها كهالة من الليل فيظهر جمالها المتألق في إطار بهذا ليكون فتنة للناظرين .

وكان حديث طويل بيني وبين نفسي طوال تلك الليلة بشأن هذه المرأة العجيبة التي ظهرت فجأة في محيط حياتي .

وأخذت الأيام تمر إلى أن أتى ذلك اليوم الذي تركت لها فيه المفتاح - بعد إلحاحها - لكي تنظم لي الأثاث وتنظفه بنفسها .

وعدت في الظهيرة كعادتي فوجدت كل شيء منظما بعد أن كان ضربا من ضروب الهمجية .

وأخذت أتلفت يمنة ويسرة إلى أن وجدتها .. ؟ مستلقية على مخدعي في استرخاء جميل وعيناها تحدقان في كأنها تدعوني فتقدمت نحوها وأنا مندهش مما أرى وكأني في حلم لم أفق منه إلا على صوتها الشاعري وهي تقول :

ـ لماذا تأخرت ياحياتي .. ؟

ـ لم أتأخر بل جئت في موعدي .

ـ لقد تأخرت ربع ساعة إني أعد الدقائق وأحصي الثواني لكي أراك يانور حياتي !

ـ ما كل هذا . إنك شاعرة بارعة لم أكن أعرف عنك ذلك .

ـ وأكثر من ذلك يا حبيبي . !

ـ أخفضي من صوتك خوفاً أن يسمعك أحد .

ـ ليس معنا الآن من أحد سوى أنت وأنا .

ـ وزوجك أين هو ؟ . ولماذا لم تهبطي إلى بيتك حتى الآن .؟

— إنه ليس هنا . سافر منذ الأمس إلى الريف ليصفى أعماله هناك وسيمكث أسبوعا ، أسبوعا واحداً .

جرى كل هذا الحوار بينى وبينها وهى مسندة رأسها إلى حاجز المخـــدع ومستلقية بذلك الجسد المرمرى الذى يتموج من تحت الغلالة الرقيقة التى لاتكاد تخفى من جسدها إلا القليل .

ومدت يدها لتجذبنى اليها وكأن قوة مغناطيسية كانت كامنة فى تلك اليد الصغيرة إذ وجدتنى مسوقا اليها بالرغم منى وما أن تناولتها حتى احسست بالنار تسرى الى جسدى فتسلمنى إلى عالم آخر ، عالم ترقص فيه الشياطين وتحتفل بمقدم كل ضيف جديد ، وكان احتفاؤهم هذه الليلة بى .

وفى الصباح وجدتها إلى جوارى تقاسمنى ذلك المخدع الصغير ، فقمت متحاملا على نفسى وكأن ذنوب العالم كلها قد تراكمت فوق رأسى وأبصرت الشمس هاربة بعيدا عن المخدع بعد أن كانت توقظنى كل صباح . أبصرت صورتى الصغيرة المواجهة لمخدعى تشيح عنى إشمئزازا . رأيت كل شىء قد تغير .

فصرخت من أعماقى :

— أنا مجرم .. أنا خائن .. لقد خدعت بك أيتها الملعونة .

وأسرعت بارتداء ملابسى وهبطت الدرج مسرعا لأحشر نفسى فى اول ترام إلى عملى .

وقبل الظهر كانت سيارة كبيرة تحمل أثاث بيتى إلى بيت آخر .

ولا تسألنى ياصديقى عن مقدار ما أنتابها من حزن وأسف عند ماعلمت بذلك . فرحت أنتحل لها شتى المعاذير حتى استقر الأثاث فى العربة ولم يبق لها سوى أن تودعنى فجأة وهى تقول :

— وأين عنوانك الجديد ؟ .

— سوف تعرفينه بعد .

— حتى عنوانك ، تبخل به على . أهكذا أنت . أنك ..

— قولى ماتشائين . كل ما أبتغيه مغادرة هذه الدار .

وسحبت يدها من يدى وهى تقول

— مع السلامة .. ..

* * *

(٢)

عزيزى سامى ..

أكتب اليك من المنزل رقم ٩ شارع عين الصفاء ، ذلك المنزل الكبير الذى اتخذت الطابق الأول منه سكنا لى بعد أن هربت من الجنة المزعومة ، جنة الشياطين ولا تظننى أكتب اليك الآن لأصف لك حالى وأهديك سلامى ، بل لأقول لك ماهو أغرب وأعجب

فى ليلة الأمس سمعت طرقا على الباب فسرت إليه فاذا بها أمامى وجها لوجه .. هى الحورية الشيطانية .. وقفت جامدا مذهولا فتطوعت هى بالكلام وقالت :

— لعلك تعجب ما الذى جاء بى إلى هنا ! !

— نعم ! من أين لك بالعنوان ؟ !

— (ساخرة) اللى يسأل مايتهش .. ياعادل افندى .

وجلست على أقرب مقعد ثم استطردت فى قحة :

— إنك تهرب منى ولكنى ألاحقك بل أسد عليك منافذ هروبك

— وماذا تريدين منى ؟

— لا أريد سوى أن أكون بجانبك .

— ولكنك امرأة متزوجة ..

— (بعصبية) متزوجة ! متزوجة ! أليس عندك غير هذه الكلمة ؟

ـ نعم ، ليس عندى غيرها . وأطلب إليك الآن مغادرة هذا المكان وإلا أخبرت زوجك بكل شىء ..

ـ أتهددنى يا خائن ؟

ـ نعم أهددك يا . خاطئة .

ـ وأنت . ألست شريكى فى خطيئتى ؟

ـ شاركتك بعد إغرائك الذى دفعتنى إليه دفعا وفطنت أخيرا لما ارتكبته فى حق نفسى الطاهرة .

وضحكت ضحكة عالية ثم قالت بسخرية :

ـ تقول نفسك الطاهرة . !

ـ نعم . لقد هربت منك مرارا فكنت ..

ـ (مقاطعة) كنت آتيك ، أليس كذلك ؟

ـ يا عزيزتى . ألم يكفنا ما جرى ؟ ليذهب الآن كل منا إلى سبيله ليكفر عن ذنبه ويتطهر من أدرانه عسى أن تقبل توبته .

ـ هكذا أنتم جميعا أيها الرجال كأمواج البحر تارة هادئة وتارة ثائرة مسكينة معكم المرأة . !

ـ لا أدرى والله أينا المسكين وأينا المغلوب على أمره ،

ـ عادل (تتضرع فى حرارة وتوسل) لا تحاول أن تذهب بعيدا عنى (بقسوة وعنف) لا تحاول أن تضع قلبك فى يد امرأة أخرى لأنى سألاحقك ولا يهمنى أن تخبر زوجى أو لا تخبره .

ـ سوف نرى .. (وأعرض عنها)

وتحركت نحو الباب منهزمة وهى تقول .

ـ لقد عرفت عنوانك وسوف أراك كل يوم .

ـ أما أنا فلن أراك بعد اليوم .
وخرجت تجر أذيالها .

* * *

عزيزى سامى . لا تراسلنى على عنوانى بالمدينة فسأرحل غدا إلى الريف ، إلى قرية نائية بعيدة عن العمران .

لا تعجب ياصديقى فقد قابلت المدير وطلبت إليه نقلى إلى أحد أفرع المؤسسة البعيدة فوافق .. وها أنذا أعد العدة للرحيل . ألم أقل لك إنى هارب من .. جنة الشياطين !

هل تذكرين

هل تذكرين لقاءنا الأول . يوم أن كانت الشمس تنحدر نحو المغيب والشفق من حولها يودعها بلونه الذهبي الجميل .

هل تذكرين ساعة أن أطل علينا القمر ونحن في جزيرة الآمال تداعب نسمات الليل بشرتينا وتنساب أغنية الملاح إلى أذنينا .

هل تذكرين ذلك اليوم الذي ذهبت فيه لوداعك وكانت الدموع تهطل من عينيك رقيقة براقة عند ماتحرك القطار ، وكانت رسائلك هي البلسم الشافي لنفسي الثائرة وكنت أسائلك في كل مرة : متى اللقاء . فتردين على بقولك : سأراك في يوم ما يافتاي . وظللت أنتظر ذلك اليوم وأمني النفس به حتى ذبلت زهرة شبابي وقاربت شمس أيامي على المغيب فهل نسيت أم مازلت تذكرين ؟

سواء هذا أو ذاك فكل شي قد انقضى وقد أمسيت كهلا وأنت لم أرك منذ سنين وهيهات بين ربيع الشباب وخريف المشيب . ؟

وإذا البلاد تغيرت عن حالها
فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا
في بلدة تدع العزيز ذليلا

اعترافات حائرة

كانت ليلة عيد الميلاد وكان المشرب صاخبا ضاحكا كل مافيه يبعث على البهجة والسرور ، شباب وشيوخ ، فتيات وسيدات ، راحوا يرقصون ويمرحون ، وقد خلعوا جميعا ثوب الحياء . ودرت بناظرى باحثا عنها إلى أن وجدتها هناك فى أقصى المشرب جالسة وحدها وأمامها كأس ممتلىء حتى نصفه وزجاجة توشك أن تفرغ ، فاتجهت نحوها وجلست إلى مائدتها فلاقتنى بابتسامتها المعهودة .

وقالت — هل جئت أنت الآخر ياصديقى لتستقبل معنا العام الجديد ؟

قلت — نعم . وهل لازلت تفرغين هذا السم فى جوفك ؟

قالت — (وهى ترفع الكأس إلى شفتيها) يا صديقى لاتعب على هذا الذى ترانى فيه فلقد حاولت كثيراً . أن أترك الكأس دون جدوى . إذ ماصممت على مقاطعته واحتملتها حتى تحوطنى الوساوس من كل صوب وحدب وتذهب بى الأفكار إلى تلك الناحية المظلمة فى نفسى وإلى ما كنت عليه .

قلت — (مخففا) هونى عليك واعلمى أن لكل منا آلامه فى الحياة ، فلا تدعى للحزن مجالا فى نفسك مستعينة على ذلك بالنسيان .

قالت ـــ كم حاولت أن أضيع ستارا يحول دون ارتباط أفكارى بذلك الماضى الأليم فأبعد ذلك فوق مقدورى .

قلت ـــ بالله عبرينى بذلك الماضى لعلى أختطف بعض ما بك وكونى فى روايتك معى من الصادقين .

قالت ـــ (وقد أفرغت ما فى الكأس فى جوفها) إن مأســـاتى التى أحملها فى صدرى وأكتوى بنارها وحدى لم أبح بها لأحد حتى الآن ، ولكن .. لما أراه فيك من عطف وحنـــان لاحظته منك دون أقرانك الكثيرين سأقص عليك قصتى . ولتكن قاضيا عادلا بين القدر وبينى .

تبدأ قصتى يا صديقى فى قرية نائية من تلك القرى المتناثرة حول مدينة المنصورة . كنت أعيش مع أبى الشيخ بعد وفاة أمى ، وكان جمالى حديث القرية من فتيان وفتيات فأمرنى أبى ألا أغادر الدار بعد أن أملأ جرة الماء كل صباح من الترعة القريبة .

وذات يوم حلت فى القرية وحدة علاجية متنقلة واتخذت بجوار (الترعة) مقرا لها ، وكان طبيب هذه الوحدة شابا من شباب القاهرة ، رأيته بعد قدومه واقفا يستنشق نسيم الصباح . فما أن واجهته حتى صوب ناظريه نحوى وكاد يلتهمنى لولا أن سارعت عائدة من حيث أتيت .

وفى الصباح التالى وجدته واقفا كالبارحة وكأنه كان فى انتظارى ، فما كاد يرانى حتى علت وجهه ابتسامة مشرقة وألقى على تحية الصباح فبادلته التحية وعدت إلى الدار فرحة جذلة بهذا الطبيب ذى السترة الافرنجية والوجه المشرق الذى انتقانى وحدى دون أترابى ليغازلنى فى جيئتى وذهابى .

وبعد بضعة أيام نادانى بصوت خجول فذهبت إليه وبادرنى بكلمات رقيقة وجلست بعدها جالسة إلى جواره يسمعنى عبارات العشق والهيام وأنا العذراء التى لم يسبق لها سماع مثل هذه الكلمات (الحلوة) فخفق قلبى بحبه واطمأنت نفسى له حينما قال لى إنه أعزب ويريد الزواج من الريف، وأنه يعرف أبى شيخ القرية .

لن أطيل عليك يا صديقى .

فى ليلة من الليالى المقمرة خرجت أتسلل من دار أبى إلى خميلة الدكتور (شوقى) الذى كان فى انتظارى وجلسنا سويا يخيم علينا سكون الليل ويداعبنا نسيم الربيع . وكان الشيطان ثالثنا .

جلسنا نتبادل القبل والأحضان ولكن الشيطان لا يكتفى بذلك ويريد المزيد ، فكان له ما أراد !

.. وعدت إلى دار أبى . . عدت أتعثر فى ثوبى وقد تلطخ . . تلطخ بدم عفاف الجريح .

ومضت بضعة أيام رحل خلالها (شوقى) إلى القاهرة تاركا لى الفضيحة وحدى . فبقيت حزينة شاردة اللب لا هم لى سوى التفكير فى أمر تلك الثمرة التى تركها وأخذت تنمو مع الأيام وتتمدد فى جوفى . ولما لم أجد فى التفكير جدوى هربت . . أجل هربت إلى القاهرة . . جئت أبحث عن حى الضائع ، جئت أنشد أبا ولدى .. وطال بحثى عبثا . من فى هذه المدينة الزاخرة يستطيع أن يدلنى على (فرد) اسمه (شوقى) . ؟ كان ذلك محالا .

.. وشاء الحظ أن أسقط بين براثن عجوز شوهاء أظهرت لى عطفا كاذبا وحنانا مدهونا ، فلما ملأت شعاب صدرى بكذبها استطاعت أن تقدمنى غذاءا شهيا على مائدة (الفن) وصرت راقصة .

وفى هذا الميدان صار لى جولة وصولجان ، يساعدنى على ذلك قوامى الدقيق وشبابى الفوار ، وتمايل الحزين . فصرت أرقص ، وأشرب وأتمرغ على الصدور . لقد صرت امرأة أخرى اشتراها الشيطان بكسرة خبز وثوب من الحرير المضفاف مقابل الكثير .. لكن كل ذلك لم ينسينى « شوقى » مازلت أذكره .. مازلت أذكره . وكيف أنساه وهو الرجل الأول الذى ذاق شبابى وضيع أنوثتى ؟

كنت أبحث دائما عنه فى صالة الرقص التى أعمل بها (والتى تجالسنى فيها الآن) من يعلم ؟ قد يجىء يوما أو قد أجده ، فأعرف منه سبب فراره ، وأصفح عنه ، وأقدم لولدى اليتيم أباً ..

ومضى عام .. وعامان : وكبر ولدى وترعرع ، وسألنى عن أبيه فقلت : قد مات أبوك ..

ومر جزء من الزمن حتى جاءت تلك الليلة التى هبطت فيها إلى الصالة كعادتى فهالنى أن أجده .. !! ؟

من ؟ .. أتعرفه ؟ .. انه « شوقى » أجل والله أنه هو .. كان جالساً وحيداً وامامه الشراب يصب منه دون حساب . وتلاقت نظراتنا فعرفته ، ولكنه لم يعرفنى للوهلة الأولى ، فلقد صنعت منى المدة التى انقضت — صنعت منى امراة اخرى . ولكن لما دنوت منه وناديته بأسمه عرفنى .. عرفنى من صوتى . وهتف :

— شلبية :

وشد على يدى ... بحب ... وحسرة ... وحنان .

قلت والدمع يكاد يجرح عينى من شدة التأثر :

— نعم . هى شلبية .. الزهرة التى قطفتها ثم القيتها للطين فداستها الأقدام وناالها كل رخيص . انها هى شلبية ، اوشوشو الراقصة المشهورة . فهل تعرفها ؟

فلم يقل شيئا بل أطرق خجلا وخزيا وحرك رأسه بتثاقل ، ثم ترده أكثر من مرة قبل أن يقول :

ـ لقد أجرمت فى حقك ياشلبية فعلا ، ولكن القدر أجرم فى حقينا معا . وصحيح أنت ضحيتى ولكنى أنا أيضا ضحية ظروف سيئة سوف أقصها عليك غدا ... غدا مساء ..

وانفلت إلى الباب ، واختفى كالشبح .

وجاء الغد . ولم يجىء .. شوقى ...

كنت جالسة فى مقعدى هذا بالذات ومعى شوقى ... « شوقى الصغير » ثم كنت أريد أن أقدم هدية لكل منهما فأقدم الابن لأبيه والأب لولده لكن القدر حال .

ما الذى حدث ؟

لقد سقط .. شوقى ..

كيف سقط ؟..

ذلك سؤال يجاوبك عليه القدر : لقد سلط عليه سيارة عمياء ... سحقته فى الطريق .

وصار شوقى .. الصغير .. يتيما فعلا .

مات أبو ولدى ...

ومات أبو أملى ...

وجمعنا اليتم فى دائرة واحدة ...

....

وملأت كأسها بما فى الزجاجة ، وأفرغته فى جوفها دفعة واحدة ، وانكبت على المنضدة تبكى ...

ايها الليل .. أما لك من آخر ؟...؟

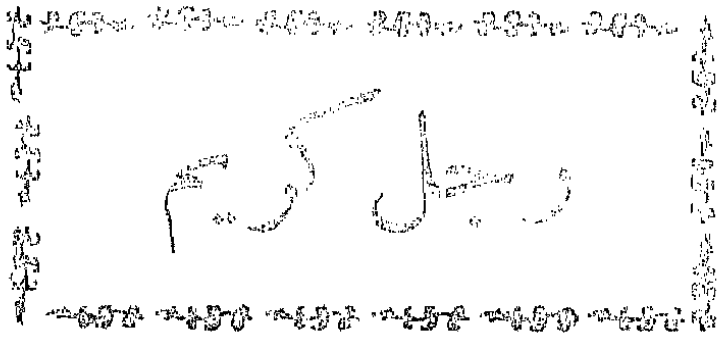

(لولا إيماني وشدة عقيدتي لقلت أن هذا الرجل ليس من طينة البشر)

إنه صفحة بيضاء في كتاب الوجود وزهرة ندية في بستان الورود ونفحة من الله تسير على الأرض لتخفف الآلام المصابين وتسكب على جراحهم من روحها بلسما شافياً فيه الحنان وفيه الحياة ؛

لو رأيته لقفز قلبك مرحباً بتلك الهالة النورانية التي تشع من وجهه لتبعث في النفوس بهجة وبشرا ،

ما رأيته مرة الا وهو في طريق الخير يسير وما استشرته مرة إلا بالخير يشير :

جمعتني به ظروف الحياة فأتاح لي ما كنت أصبو إليه من ساعات أخلو فيها إلى نفسي لأسطر ما يجيش بصدري من أحاسيس متباينة تثيرها أخطاء هذا المجتمع المجنون :

تخلف عن موكب رفاقه فذهبوا وتركوه لأنه أراد أن يشق لنفسه طريقا معبدا يظلله الصدق وينيره الحق وما أشقه من طريق عند الذين لا يعلمون أما الذين أنار الله بصائرهم فتراهم فيه يسيرون .

ولقد تكشفت لي نفسيته الكريمة فوجدتها بيضاء ناصعة لا تشوبها

شائبة من الخبث أو الرياء أو المداهنة ، وإنما قد فاته قطار النجاح . ذلك النجاح الذى يطلبه الكثيرون حتى لو تعاملوا من طريق غير شريف .

وإنه ليخيل إلى فى بعض الأحيان أنه ملاك طاهر نزل إلى الأرض يحاول بجهده أن ينشر الصلاح والتعاون والحب بين البشر .

شفاه الله .. وأسعده فى كهولته .. لأنه رجل .. كريم ..

قريبا قريبا قريبا

حدث جديد فى عالم الأدب

عفـــاف

القصة الإنســـانية الكاملة

التى جمعت بين سطورها أمانى الشباب وعبر المشيب

هى القصة التى أحدثت ضجة كبرى فى الأوساط الاجتماعية عندما قدمت للسينما وكادت تظهر على الشاشة لولا بعض الرجعيين

عفـــاف

هى هدية المؤلف لكل فتى وفتاة وأب وأم ليجعلوا منها نصيحة لأبنائهم فى هذه الأيام التى عزت فيها النصائح .

عفاف .. تظهر قريباً .. بقلم عبده سلطان

قبلة الغفران

«إلى بعض الأزواج اللذين يلبون دعوة الشيطان ولا ينظرون إلى زوجاتهم بعين الرضا والقناعة .

وأيضا إلى الزوجات الفاضلات اللاتى يصبرن على السراء والضراء ويجعلن من بيوتهن جنة صغيرة ملؤها السعادة والهناء»

كانت الشمس مائلة للغروب لتطوى يوما من أيام الربيع الزاهية بينما كانت تتحرك فى ذلك الطريق الصامت سيارة فاخرة وبداخلها شابا وفتاة تعاهدا على الحب والوفاء . الحب الصادق الشريف المتجاوب بين قلبين طاهرين ، ذلك الشاب هو الأستاذ فريد المهندس الذى تخرج حديثا وأخذت تبتسم له الحياة فدخلها بقلب متفائل طروب وهذه الفتاة التى بجانبه هى (سهام) تلك الغادة الحسناء التى وجد فيها كل ما كان يطمح إليه من جمال هادىء رزين يبعث فى النفس نوعا من الاحســـاس العاطفى والاستقرار الروحى .

وهب النسيم فحرك الأشجار القابعة على جانبى الطريق وتراقصت أحلام الأمل أمام عينى (فريد) فراح يستعرض السعادة الزوجية التى ينشدها مع « سهام » .

وأنصت فجأة إلى ذلك الصوت الذي ابتدأ يداعب أذنيه في تلك اللحظة إنها حبيبته تسائله فم يفكر . ورد عليها بابتسامته المرحة

ـ لا شيء ياحبيبتي . كنت أفكر في ذلك البيت الهادىء الذي سيضمنا سويا بين جدرانه .

وانقضت بضعة أيام تكونت خلالها تلك الفيلا الجميلة التي كانا يحلمان بها وتم زواجهما ومضى عام بعد الزواج مرت شهوره الأولى كحلم قصير سرعان ما أفاق منه (فريد) على صوت الحقيقة فتصورت له زوجته الحبيبة بصورة أخرى بعد أن محى من نفسيتها ذلك البريق الحالم الذي كان طاغيا عليها وانقضت تلك اللحظات الساحرة التي كان يتخيلها أبدية لاتزول وتلاشت النظرات التي كانت تفيض رقة وعذوبة ناطقة بأروع معاني الحب وحلت محلها نظراتها إلى الحياة العادية الخالية من الشعر والخيال .

كانت تحبه حب امرأة اخلصت لزوجها تماما فعاشت تجهد نفسها في سبيل رضاه ولكنه كان يشعر بأن روحه الشاعرية في حاجة إلى الحب حب من نوع آخر كذلك الذي كان يحيا معها تحت تأثيره قبل الزواج .

لقد كان يشعر بحبها يتغلغل في دمائه حارا قويا ، ولكنه اليوم لايستطيع أن ينتفع به كما يحب ويشتهي فاذا ماحاول يوما إحياء ذكرى غرامه القديم . الغرام الشاعري العنيف وجد من زوجته اعراضا عنه لا عن تمنع بل عن طبيعتها كامرأة ستصبح أما عما قريب وكانت تردد له قولها : يازوجي العزيز . اترك هذه الخيال للشباب ولاتعش طوال حياتك في الخيال والأوهام !!

فكانت هذه الكلمات تحز في نفسه كأنها مدية حادة فيتركها ويذهب إلى الشرفة المطلة على المنزل المجاور ذلك المنزل الذي تقيم فيه امرأة تعدت سن الشباب بقليل ولكنها ظلت محتفظة بجمالها ورشاقتها ،

كانت تلك المرأة كلما وجدت فريد وهو يطل من الشرفة وحيدا بادلته النظرات وكان هو أيضا يجد فى نظراتها ملهاة لنفسه الحائرة .

ودق جرس التليفون فى مساء ذلك اليوم فشار إليه فريد بخلوات صناقلة ورفع السماعة فإذا المتحدث صديقه (صلاح) يدعوه لمقابلته فرد عليه بالإيجاب . وأخذت سيارته تنهب الأرض فى طريقها إلى ذلك المكان المعين حيث تقابل مع صديقيه صلاح وسعيد وكانوا ليلتئذ يحتفلون بعيد الربيع ، وهمس صلاح فى أذن فريد قائلا .

— سنذهب إلى مكان جميل لقضاء سهرة ممتعة ولا بد من ذهابك معنا .

ولم يسعه المسكين إلا القبول فانطلقت بهم السيارة وسط ذلك الشارع الكبير ، وهناك أمام إحدى العمارات هبط ثلاثتهم يتقدمهم (صلاح) كأنه دليل السوء أو سفير الشيطان .

دخل الأصدقاء هذه العمارة . وفريد لا يكاد يتبين من الأمر شيئاً . وجلسوا فى الصالون الفخم الملىء بالرياش الثمينة والتحف النفيسة والصور الخليعة ، وتركهم صلاح ودلف إلى الداخل ليعود بعد دقائق ومعه تلك المرأة الحسناء التى لم تستطع أن تتوارى عن أعين فريد حينما قدمها لها صديقها صلاح . ولقد ودت فى تلك اللحظة لو أن الأرض قد انشقت وابتلعتها لكان خيرا . فلقد ظل فريد صاغراً إليها بذهول ولم يستفق إلا على صوت صديقه وهو يقول مندهشا .

— هل تعرفها من قبل يافريد .

ولكن فريد لم يكن منصتا إليه حينئذ بل كان يفكر فى أمر تلك المرأة التى أذهلتها المفاجأة فراحت تعبث بأصابعها دون أن تنبث ببنت شفة كما تحتم عليها التقاليد .

كان يفكر فى تلك المرأة التى اعتاد أن يراها كل صباح فى حديقة منزلها

المجاور لمنزله مباشرة ، ولكنه لا يفكر يوما في مغازلتها رغم إعجابه بجمالها ورشاقتها ، بل كانت نظراته لها بريئة خالية من كل معنى

ولقد كان حبه الباقي لزوجته يحول بينه وبين كل ذلك

وانفجر صاحبنا بكل ما في نفسه من ألم ذلك اليوم الذي تخلى فيه الكون وتركهم يعبون من شراب السم ، وأسرع بالخروج حيث انطلقت به سيارته نحو بيته الذي يضم بين جنباته الخالية الرفيقة ، ولقد عاد إليه في الساعة الحادية عشرة فوجدها ساهرة في انتظاره وهي التي اعتادت النوم المبكر ، فتقدم منها والدموع في عينيه واحتواها بين ذراعيه وقبلها . .

قبلة الغفران . . ؟

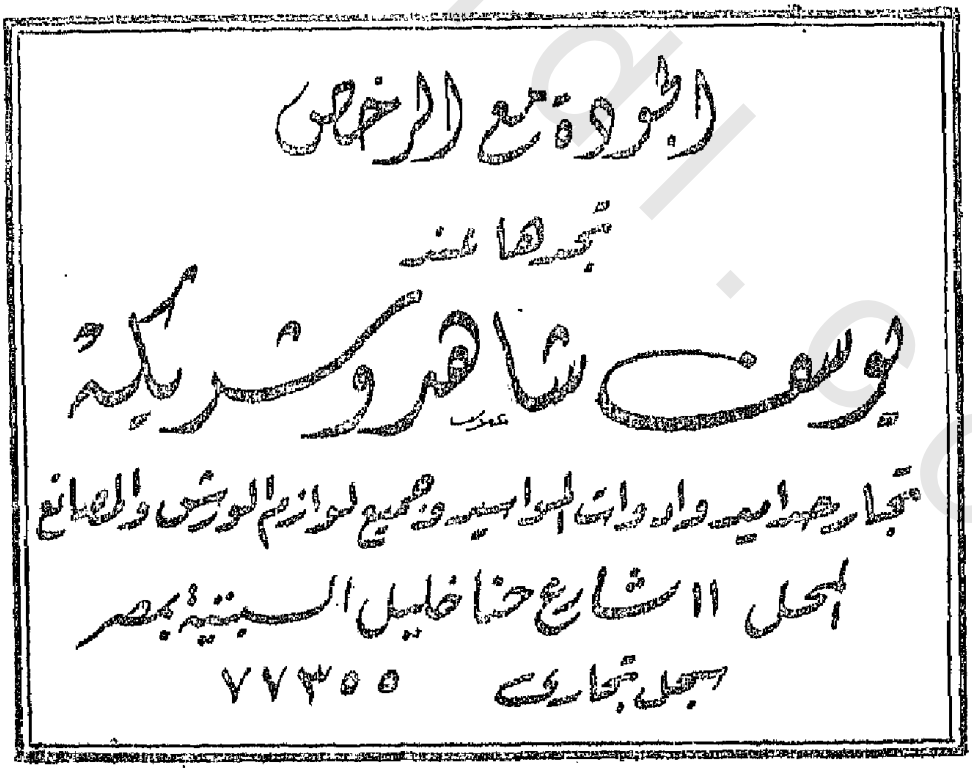

عودة الهاربة

(إلى تلك الفتاة المتقطرسة التى لا تعرف عن أفراد أسرتها بقدر ماتعرف عن أفلام السينما)

... لم تكن تدرى أن أمواج الدهر ستقاذفها إلى ذلك المصير المجهول ، لذا كانت دائمة المرح ضاحكة الأسارير .

كانت أنموذج للرشاقة والجمال ولوحة للفتنة والإغراء ومن أجل ذلك أقبلت عليها النفوس الراغبة واتسعت لها العيون الجائعة كأنها مصباح قد التف من حوله الفراش .

وذات يوم كانت جالسة أمام مرآتها تتفرس فى مفاتن جسدها السمهرى الذى يشع شباباً وحيوية ونضارة .، وظلت تتنقل بعينيها إلى كل قطعة من قوامها ثم همست إلى نفسها : إننى لم أعد سوسو الصغيرة ، بل غدوت فتاة فى ريعان الصبا وعنفوان الشباب ، ولكن ياترى هل أنا جميلة كما يقولون ؟ وابتسمت للمرآة وهى تلقى مها الجواب ، ثم نظرت إلى ساعة معصمها وهبت واقفة لقد حان موعد ذهابها إلى العمل .

.. أشرقت عليها شمس الحياة فى ذلك البيت القديم مع أمها وليس لهن مورد سوى (معاش) بسيط يتناولانه فى نهاية كل شهر ، ولمادارت عجلة الزمن عدة دورات كبرت خلالها (سوسو) وترعرعت وأحست بمطالب

الحياة فخرجت تشسق طريقها فيها وأنتهى بها المطاف إلى شركة كبيرة للأدوية حيث التحقت سكرتيرة بها.

وأخذت تطوى الأيام فى كنف أمها إلى أن أتى ذلك اليوم الذى لم يكن يخطر لها على بال إذ كانت جالسة إلى مكتبها فتقدم منها شيطان جميل من شياطين الغرام وهمس فى أذنها ببضع كلمات فابتسمت كعادتها لأنها لم تكن تعلم شيئاً عن ذلك الذى يسمونه الحب ، ومنذ ذلك اليوم والشيطان يتابعها أينما ذهبت ويسير فى ركابها أينما رحلت ليلقى على مسامعها كلماته الخادعة المليئة بالخبث والرياء ويلفح بأنفاسه الحارة بشرتها الرقيقة فتحمر خجلا وتهتز فرقا : حتى تلك الليلة التى ظل شيطانها يطاردها فلم تجد لها مأوى سوى صدر أمها الحنون فلجأت إليه لتلقى بنفسها بين ذراعيها . وأخذت الأم تهدىء من روعها حتى زايلها الخوف وعادت إلى طمأنينتها ، عندئذ قالت الأم

ـ أما كفاك يا إبنتى خوفاً وهلعا فى كل ليلة من ذئاب الطريق ، أما آن لك أن تستريحى من كل ذلك :

ـ وماذا أفعل يا أماه :

ـ لاشىء ياوحيدتى ، لقد تقدم اليك اليوم (صابر) ابن جارنا طالبا خطبتك وقد وافقته على طلبه وأرجو ألا ترفضين .

ما كادت الفتاة تسمع بذلك حتى اصفر وجهها وغاصت بذهنها فى بحر عميق من الأفكار لتقارن بين شيطانها الجميل ذى البذة الأفرنجية والشعر المصفف وبين ابن جارهم ذلك الشاب السازج ذى الجلباب الشعبى واللحية الطويلة .. ولم تفق من شرودها إلا على صوت أمها وهى تقول .

ـ أتوسل اليك يا ابنتى أن توافقى على ذلك الزواج رحمة بى وبنفسك .

فى تلك اللحظة الرهيبة لم تتمالك الفتاة إلى القبول على مضض وان كانت قد أنتوت فى نفسها نية أخرى . !

وانذرت أيام معدودة تمت خلالها تلك المقدمات العادية للزواج وكانت (سوسو) لاتزال فى عملها وهى لاتصدق شيئاً من ذلك حتى كذبت الأيام ظنونها وعلمت أمها تشير إلى موعد الزفاف فأظلمت الحياة أمام ناظريها وراحت تخبر شيطانها بكل ماجرى فأخذ يعمل فكره ليحظى بتلك الفريسة وحده .. وكان أن أغراها بالفرار معه إلى مكان مجهول .

ومضى من الليل نصفه ولم تعد الفتاة إلى أمها .. فاستولى عليها القلق وأمضت ليلتها ساهرة مسهدة فى انتظار وحيدتها التى لم تعد !

وفى الصباح كان الخوف قد استبد بالأم المسكينة فأخذت طريقها إلى الشركة التى تعمل بها ابنتها ، وهناك علمت بأن ابنتها قد غادرت الشركة بالأمس قبل موعدها وبصحبتها شاب مجهول ولم تعد إلى عملها منذ ذلك الحين .

خرجت الأم على غير هدى متحاملة على ساقيها حتى وصلت (قسم البوليس) فأبلغته الخبر وأخذ يبحث بدوره دون جدوى .

وعادت الأم حزينة القلب دامعة العين .

وسار ركب الأيام من جديد إلى أن مضى على هروب (سوسو) أعوام ثلاث ، وقد أصبحت عند أمها فى عداد الأموات .

وبالأمس القريب بينما كانت الأم جالسة ترشف القهوة سلوة الحائر إذ بالباب يطرق طرقات خفيفة ذليلة كأنهـــا طرقات سائل يستجدى الحسنات فتحركت والفنجان فى يدها نحو الباب فعالجته وهى تقول .

ـ من الطارق .. ؟

وفتح الباب فسقط الفنجان من يدها على الأرض وانبعث منه صوتاً اختلط بصوت الفتاة وهى تقول : أماه ! ؟ .

ليت شاعراً موهوباً كان موجوداً فى تلك اللحظة ليصور الصراع النفسى العميق بين الأم وابنتها : ابنتها التى عادت تحمل على ذراعها طفلة صغيرة هى ثمرة هروبها السنوات الثلاثة . . . ؟

قصتنا لم تتم

(إلى تلك الفتاة التى شربت من الكأس مرة ثم مرة وفى المرة الثالثة تحطم الكأس فى يدها) .

ـ أتقول ان هذه القصص التى كتبتها من نسج الخيال ؟
ـ نعم ياعزيزى إنها جميعاً من الخيال
ـ إذاً فسيكون لقصتك الواقعية شأنا عظيما حينما تظهر
ـ أظن ذلك لأنها ستكون قصة كل فتى وفتاة وسأجعل منك بطلة لها
ـ من .. أنا .. ؟
ـ نعم أنت ... ولم لا . هل يضايقك أن تكونى بطلة قصتى .
ـ بالعكس .. اننى أتمنى ذلك.
ـ شكرا .

ومضت أيام قلائل سطر خلالها الكاتب قصته الجديدة وراح يعرضها على محبوبته لتبدى فيها رأيها ، فتناولتها منه وأخذت تقرأها بصوت لم يسمعه سواها . وما أن وصلت فى قراءتها إلى هذه العبارات حتى ازداد اهتمامها وامعانها فى الكلمات

(وأقبلت رجاء من بهو الدار تتهادى فى سيرها كأنها أميرة غير متوجة وكانت مرتدية ذلك الثوب الأحمر القانى الذى يكسب وجهها بشرا وبهاء

وجلست على أريكة قريبة من.. عادل ذلك الشاب الشاعر الذى هام بها حباً منذ سنين وهى لم تشعر بذلك الحب أو شعرت به وتجاهلته . مسكين ذلك الفتى الذى يمتلىء قلبه بالعاطفة وتجيش نفسه بالحنان نحو فتاة لايعرف إن كانت تبادله ذلك الحب أو تترك صرخات قلبه الدامى تتهاوى فى واد سحيق

أخذ يتفرس مبهوراً لما وصلت إليه (رجاء) من جمال هادىء رصين يتسرب إلى النفس الشاعرية فيزيدها طمأنينة وأمان

نعم فلقد فطن أخيرا أن رجاء أصبحت رائعة الجمال ممشوقة القد طروبة الأسارير

وقطعت عليه حبل تأملاته فقالت مجاملة إياه :

ـ زدتنا شرفا بقدومك اليوم ياعادل .

ـ أنا الذى سعدت بلقائك يارجاء .

ـ ولكنك أين كنت منذ شهور لم نرك ؟

ـ كنت هنا .. ولكن الظروف حالت بيننا

ـ الظروف أم أنت الذى لاترغب فى زيارتنا .

ـ ماذا قلت .. اننى أود رؤياك فى كل يوم بل فى كل ساعة وآه لو تعرفين أن صورتك ماثلة أمامى فى كل لحظة من لحظات حياتى وذكراك مسطرة على صفحات قلبى أقرأها كلما فاض بى الشوق إليك .

ـ ما كل هذه الألفاظ العذبة . حقيقة انك لشاعر .

ـ نعم أنا شاعر ، ولكن هذه الكلمات التى أعبر بها الآن ليست من لغة الشعر لأنها صادرة عن قلبى لك .

ـ ومايدريني ذلك .؟

ـ غدا سوف تعرفين . وستذكرين لماذا كنت اختفى من طريقك وأتباعد عنك كل هذه الشهور .

وسبح بفكره قليلا وهو يقول :

ـ كنت لا أريد أن أثير من حولك الأقاويل لأنى أحببتك حبا طاهرا عفيفا نما فى قلبى وأخذت أتعهده طوال هذه الأيام .

ـ ولماذا لم تخبرنى بذلك . !!

ـ آثرت الصمت حتى لا أعكر عليك صفو حياتك ، وكنت أعلل النفس بالصبر حتى يومنا المنشود .

ـ أحقيقة ماتقول؟

ـ كل الحقيقة يافتاتى و . .

وما أن وصلت إلى ذلك الحد من القصة حتى أغرورقت عيناها بالدموع وأطبقت القصة وناولته إياها دون أن تتم قراءتها . ذلك لأنها قد عرفت كل شىء ولأنها تعلم جيدا أن الأيام وحدها هى التى ستتم هذه القصة .

منـــاجاه

أيها الجالس على شغاف القلوب . .

يا من سيطرت على أهواء البشر . يا من صقلت الطباع وهزمت القلاع . . رحمة بنا أيها الحب . .

دع الفلك يسير ، لا تحطم المجداف ولا تمزق الشراع حتى نصل إلى شاطىء السلام . .

من من المحبين لايخافك ويرهبك بل يحبك ويتملق إليك لأنك . . (الحب)

كم من نفوس معذبة وقلوب محطمة من أجلك أيها الحب .

وداع ..

(إلى أولئك الفتيات السابحات فى بحر الخيال .. الخيال العميق)

على شاطىء الإسكندرية سطرا أول كلمة من قصة حبهما . ثم فى القاهرة تكررت سويعات لقائهما . وفى القاهرة أيضاً افترقا .؟ فرقهما القدر القاسى بعد أن كادا يقطفان الزهرة الأولى من حديقة حبهما .

تزوجت هى من شاب ثرى أغدق المال على أسرتها بلا حساب ، ولم تكن فى حاجة إلى ذلك المال بقدر حاجتها للحب والعاطفة.

ولكن تقاليد الأسرة المصرية التى تحرم الفتاة من اختيار شريك حياتهما تلك التقاليد البالية العتيقة مازالت تلقى من يبث فيها روح الحياة من جديد. تزوجت المسكينة من ذلك الثرى بالرغم منها ، وفى صبيحة زواجها أرسلت لحبيبها رسالة تطلب إليه أن يعمل على اختطافها من ذلك الزوج الذى لا تشعر نحوه بأية عاطفه أو ميل .

ولكن حبيبها كان أبعد منها نظراً فأرسل إليها يودعها بتلك الرسالة الرائعة.

(عزيزتى ... حبيبة الماضى . وداعاً ..

وداعا ولا تذكرينى بعد اليوم ، فما كان بيننا من حب قد تبخر ومن هيام قد تبعثر .

أن الأيام التى قضيناها سويا لم تكن سوى حلما قصيرا من تلك الأحلام

التى نشاهدها فى نومنا ثم لاتأخذ من تفكيرنا سوى لحظات قصار .!

ودعا وكل ما أتمناه لك أن تصبحى سعيدة فى بيتك الجديد .. كفكفى ياعزيزتى دمعك الساخن وهدئى من ثورة قلبك المهتاج ولا تقولى انك لاتحبين زوجك إن الحب الذى نكتوى بناره ونقدم أرواحنا على مذبحته قربانا ماهو فى الحقيقة إلا خرافة كبرى ابتدعتها الطبيعة وخلدناها نحن البشر لكى لاتتوقف عجلة الحياة .

فلا تصدقى الأوهام بل أجعلى من قلبك حصناً حصيناً لزوجك يجد فيه الحنان والدفء والأمان ، وبذا يكون إعجابه بك مثله الأعلى أو ليس الحب وليد الإعجاب .

رفيقة الأمس . اننى أشعر الآن وانا أكتب إليك هذه الرسالة أنها آخر مايخطه قلمى لامرأة ذلك لأنى ذاهب إلى مكان مجهول لاتحاولى أن تعرفيه لأنه بعيدا عنك كل البعد فلا تأملى أن ترينى مرة أخرى لأننى سأقيم هناك بعيدا عن خرافات المجتمع الغارق فى بحر الرياء .

فوداعا عزيزتى وداعا ، وثقى أن كل مابيننا قد انتهى ولم يعد أحد يعرف الآخر اللهم إلا الذكريات . الذكريات العذبه التى لن تبارح قلبى إلا حطاما .

أما أنت فرجائى منك الا تذكرينى بل لاتـــذكرى اسمى لأن ذكره ربما ينغص عليك حياتك الجديدة ،

ودعى الماضى واعتصمى بالنسيان إن الجراح إذا أنسيناها التئمت .

وداعا أخيراً وهذى صورتك أعيدها إليك اليوم بيضاء ناصعة كما قد تركتك بيضاء ناصعة .

ولقد أصبحت أنت الآن زوجة لرجل فاضل وكل ما أبتغيه منك أن تشعريه بالسعادة وتذكى فى نفسك حبه لتملئى فؤاده بعطفك وحنانك .

وبذا أكون سعيدا مادمت أنت سعيدة لأنك كنت فى يوم ما مصباح حياتى ولحن أيامى ؟ . . ؟

متى ؟

متى نكون أمة حرة بآرائها ، حرة باقتصادها .

متى نعيش فى مأمن من الخوف ومنآى عن المرض ،

متى نتحرر من هـــذا الجهل وذاك الفقر اللذين يقبضان على أعناقنا بقبضة من حديد .

متى نعرف حق الوفى (الفـــلاح) ذلك الأخ الذى يظننا قد نسيناه أو تناسيناه صحانه يذكرنا فى كل ساعة بل فى كل لحظة ؛ يذكرنا وهو فى طريقه إلى الحقل ليضربه بفأسه ويرويه بحبـــات عرقه وقطرات دمائه . يذكرنا ساعة القيلولة عنـد مايأخذ منه التعب مأخذاً فيسند رأسه إلى جزع شجرة .. للراحة .. لا للراحة .. لينام .. لا لينام .. بل ليفكر فينا .. يفكر فى أهل الحضر المنعمين بالحياة .. كما يسمينا .. ؟ لا .. لا يا أخى الفلاح إننا لم ننسك ولن ننساك . إن الأمر ملتبس عليك وحقدك على فئة من أشباه الناس (تجار الظلم) كره إليك الآخرين . لاتنسى يا أخى أن هناك من إخوانك من حملوا عنك لواء الحرية وراحوا يطالبون برفع الظلم عنك لكى تتبدد تلك السحابة القاتمة من فوق رأسك فترى الأشياء على حقيقتها بلا تزويق ولا تنميق . وعندئذ ستعرف ان لك إخوانا شربوا من ماء النيل معك وعاهدوا أنفسهم على أن يناضلوا من أجلك لأنهم منك .

متى يعيش العامل عيشة ترضاها الكرامة ولا يأباها الضمير .

عيشة تضمن له ولأولاده من بعده .. الحياة .. إن العامل هو ركن أساسي من أركان الامة ، لذا قد عرفت قيمته جميع البلاد الاوروبية .. التي لنا شرف تقليدها في كل خليع مستحدث .. فقط ..!

إن سعادة العامل من سعادة الأمة وآلامه من آلامها ألا فلتهنأ أيها العامل لأننا من ورائك لن نهدأ ولن نطمئن حتى تهدأ نفسك ويطمئن بالك لأنك منا ونحن منك .

متى يجرد الكاتب قلمه ليسطر بلسان الشعب مطالبه ومكارهه وهو مطمئن إلى أنه سيبيت ليلة في بيته وبين أولاده .. ؟

لمحة

كانت ليلته السابعة في مدينة الشاطىء وكانت الساعة قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل عندما تحرك خارجا من تلك الحانة الصغيرة بعد أن قضى شطرا من الليل في ضيافة بنت الحان ، وكان الطريق مقفرا كعادته في كل ليلة غير أنه اكتشف على ضوء مصباح باهت أن شبحاً يتلاعب بالقرب منه .. وكان شبح امرأة ترتدي ثوباً أسوداً براقاً ، وكانت همسة منه وابتسامة منها . تجعلها هدية الشيطان إليه في تلك الليلة .

وكم للشيطان من أصدقاء ومحبين يقدم لهم في كل يوم هدية من هداياه ..

جزاء الوفاء

إليـــا ..؟

أخذ يهبط الدرج مسرعاً وهو ثائر النفس مهتاج الفؤاد . وما أن وصل إلى حجرته حتى أكب على مكتبه وأنشأ يبكى بدموع غزار ومضت عليه فترة من الوقت وهو على ذلك الحال ، ثم رفع رأسه من بين ذراعيه ونظر إلى الحائط فوجد إطارا جميـــلا فتناوله ونظر إليه طويلا وكادت تسقط من عينه دمعة أخرى . كانت صورتها داخل ذلك الإطار .؟صورة (نعمات) الفتاة الساذجة التى كان يعمل معها فى يوم من الأيام ضمن فرقة فنية من فرق التمثيل بمدينة المنصورة . عاد بذاكرته إلى ذلك اليوم البعيد يوم أن قابلها أول مرة وهى فى الثالثة عشرة حينذاك وكانت تعمل مع أبيها صاحب تلك الفرقة بمثابة مطربة صغيرة تلقى بعض الألحان الضعيفة ولا تجد من يشجعها . أما هو فقد كان أديبا متوسط الحال يعمل محررا فى إحدى الصحف التى تصدر بتلك المدينة .

وكان طبيعياً يشاهد تلك الفرقة من وقت لآخر فتعلق قلبه بحبها والقى على مسامعها عبارات الإعجاب والثناء فى رقة ووداعه وهى المحرومة من كل ذلك ، فكانت كلما التقت به ابتسمت له ابتسامة كلها حب وهيام .

مرت ليال عليهما وازدادا تعارفا وتواثقا وكان من امرهما كما قال أمير

الشعراء (نظرة فابتسامة فلقاء) وفى حديقة هادئة جلسا سويا تحت ضوء القمر ليشكو كل منهما ما بقلبه من هيام نحو الآخر . وهمست نعمات فى أذن عادل بأن يترك الجريدة التى يعمل بها لكى يعمل معها فى الفرقة ليكتب لهم التمثيليات القصيرة ويخرجها على مسرح الفرقة .. وعبثا حاول الأديب الناشىء أن يتخلص من ذلك المأزق الذى أوقعته فيه حبيبته .

وفى الصباح قدم استقالته إلى صاحب الجريدة واصبح فردا عاملا ضمن الفرقة ، ولاقت تمثيلياته بعض النجاح فرضى بعيشته الجديدة إلى جانب تلك المحبوبة التى أظهرت له شيئاً من الحب .

وسارت سفينة الحياة رخاء من الزمن إلى أن تدخل القدر فجأة فاختطف والد الفتاة (صاحب الفرقة) وبقيت نعمات وحيدة إلى جانبه فأخذ على عاتقه أن يكون حارسا لها من العيون الجائعة ، وعصفت بالفرقة الأقدار بعد موت رئيسها فانصرف الجمهور عنها وكاد شملها يتشتت فأخذ عادل يحاول جهده فى سبيل استقرارها ولكن العاصفة كانت أقوى من ساعده الضعيف وليت القدر قد اكتفى بذلك بل أراد أن يتم مسرحيته الساخرة فجاءت إليه نعمات ذات صباح لتخبره أنها راحلة إلى القاهرة وله أن يسافر معها إذا رغب ، وانطلق ذهنه سريعا يفكر : هل يترك المدينة التى نشـــأ فى بيوتها وترعرع فى شوارعها ، أو هل يترك محبوبته التى ضحى من أجلها بعمله وأحبها بما يملك قلبه ، ونظر إلى عينيها كمن يستمد منهما شجاعته ثم قال سنرحل معا ..

وضمتهما فى القاهرة حجرة متواضعة فى حى السيدة زينب وقد حاول الشيطان أن يدخل معهما تلك الحجرة ولكن عادل بقوة عزيمته وطهارة قلبه لم يمكنه من ذلك فعاش معها معيشة الأخ لأخته . وأخذ كل منهما يخط لنفسه منهجا فى حياته الجديدة.

فراح عادل يطوف على إدارات الصحف ويعرض عليها ثمرات قلمه فكانت تقابله تلك الابتسامات التهكمية الساخرة من هؤلاء الذين فرضوا أنفسهم على الصحافة فرضا، فيعود إلى حجرته كسير الفؤاد ذليل النفس ولكنه بالرغم من ذلك لم يسمح لليأس يوما أن يتطرق إلى قلبه فظل صامدا أمام البؤس راضيا بحكم السماء.

أما نانى فقد ذهبت إلى مدير إحدى الفرق الإستعراضية وعرضت عليه جمالها وأسمعته صوتها فأعجب بهما سويا.

وفى الليلة التالية كانت (نانى) وهذا هو اسمها الجديد - على مسرح الفرقة تؤدى (رقصتها) وسمعت التصفيق الحاد لأول مرة. تصفيق الجمهور الظمآن وكان ذلك التصفيق يقع على أذنى عادل وقع السياط فكان يتململ فى جلسته وهو منزو فى ركن من أركان المسرح.

ومضت عليه أيام قلائل وهو يقتسم العيش مع نانى، وأخيرا تبسم له القدر قليلا فأرسلت إليه إحدى الصحف تستدعيه ليعمل محررا اجتماعيا بها. وصار يكتب ويكتب ليعالج المجتمع؛ بل كان يمضى الليل ساهرا ممسكا بقلمه بينما كانت هى تقضى ليلتها ممسكة بالكأس. وذهب كل منهما فى طريق.

وفى يوم دق ناقوس الفراق فبين صراع القلب وصوت الضمير قال عادل بصوت مختلج بالأسى، اذهبى أنت وحدك. أما أنا فلن اترك تلك الحجرة.

وذهبت (نانى) إلى بيتها الجميل فى مصر الجديدة وتركته وحيدا فى حجرته المظلمة ولم تترك له شيئا سوى صورتها الوحيدة - تلك الصورة التى تمثلها يوم أن كانت فتاة ساذجة - وأخذت الأيام تترى وازدادت نانى شهرة ومجدا وازداد من حولها التصفيق والهتاف من الجمهور الظمآن حتى أتت تلك الليلة التى دخل فيها عادل ذلك المسرح مرغما من زملائه وفوجىء برؤيتها وهى جالسة إلى جانب رجل بدين من هؤلاء الذين يتشدقون

بالفضيلة وهم أهل الرذيلة فما كاد يراها على ذلك الوضع حتى سرت فى جسدة رعدة قوية وأحس بالنار تلهب جبينه فقام ثائرا واتجه نحوهما وعندما اقترب منهما سمع ضحكاتهما الخليعة تطن فى أذنيه كأنها سهام من نار . وها أن صار أمامهما حتى نظرت إليه باذدراء وتأفف وقالت له فى شىء من السخرية .

ـ حتى أنت ياعادل ـ جئت إلى هنا لتشرب كأس السعادة . أليس كذلك . وكان جوابه عليها صفعة قوية على وجهها جعلتها تصرخ وتصيح

ـ أخرجوه ـ أخرجوه

وفى لمح البصر كان عادل محمولا بالقوة إلى خارج الملهى وصرخاتها تدوى فى أذنيه . وذهب إلى حجرته ولم يذق طعم الكرى فى تلك الليلة . وفى الصباح الباكر كان يطرق بابها فى مصر الجديدة ففتحت له الخادمة وأخبرته أن سيدتها مازالت نائمة فأمرها أن توقظها حالا فذهبت وجلس هو فى الصالون يتطلع إلى يمينه ويساره ليشاهد الرياش والنرف واتجه ببصره عفوا نحو المنضدة فوجد عليها كأسين وزجاجة فارغة تشير بما كانت عليه سهرة الأمس . ؟

وبينما هو غارق فى بحر تأملاته أتت إليه (نانى) وهى تتثائب وتسعل وكانت مرتدية ذلك الثوب الحريرى البراق فما كادت تراه حتى جحظت عيناها وحاولت أن تكون طبيعية فالقت عليه تحية الصباح فلم يرد عليها التحية بل بادرها قائلا :

ـ من هو ذلك الشيق الذى كان معك بالأمس يا آنسة . ؟

فنظرت إليه نعمات وصعد الدم إلى وجنتيها وقالت .

ـ ماشأنك بى أنت . ألم تكف عن متابعتى بعد . أننى لا أحبك

فرد عليها عادل بهدوء قائلا :

ـ لست فى حاجة إلى حبك . لقد كنت مخدوعا فى مزاجتك ،

وأعتدلت نهات فى جلستها وقالت هازئة :

ـ كنت مخدوعا . أو كنت تفكر فى يوم من الأيام أن أهب قلبى لكاتب بائس مثلك . . ها ـ ها ـ ها .؟

وقاطعها عادل بصفعة قوية وركلها بقدمه وأخذ يهبط الدرج وهو يتمتم . . أهذا جزاء الوفاء . !

مرت أمامه كل هذه الذكريات وهو ممسك بصورتها وفجأة عاودته الثورة فقذف بالإطار بعيدا فتهشم زجاجه .

وفى تلك اللحظة التى تهشم فيها زجاج الإطار أحس بالراحة والهدوء يعاودانه فتحرك نحو مخدعه واستلق عليه وأسلم عيناه لسلطان الكرى .؟

لمحـــة

رأيتها . . وكانت تحث الخطى فى إعياء وتخاذل نحو . . المجهول وبيدها بقية من عاب (الثقاب) التى قضت يومها فى التجوال بين المقاهى والطرقات عارضة على الناس أن يشتروا منها لكى تعيش ، فمنهم من يشترى ومنهم من يتسابق إلى قذفها باللعنات والشتائم فتمضى وقلبها ملىء بالآلام والأحزان .

رأيتها بعد أن قضت يوما من أيامها التى لاتتغير ؛ وراحت تبحث لها عن وكر من أوكار الليل يأويها حتى الصباح ، لقد ضاع منها الكثير بلا ثمن فهل تمانع اليوم فى بذل القليل . . مادام هناك ثمن .

سيرى . . سيرى يالياالى القاهرة .

انتظار ٠٠ !!

كان كل شيء من حولها يتراقص ويتلاعب كأنه نشوان بخمر أفكارها إذ كانت لا تلبث أن تطل من نافذة حجرتها وترسل ناظريها هنا وهناك . ثم تفتح خزانة الملابس لتستعرض أجمل أزيائها وأغلاها .

لقد كانت تنظر عودة حبيبها (عاطف) من الخارج بعد أن انتهت جولته مع بعثة الطب هناك .

جلست تتخيله موفور الصحة سمح المحيا ، بل تمادى بها الخيال إلى رؤيته وهو مقبل نحوها باسطا ذراعيه إليها كمن يهم بضمها إلى صدره الظمآن

ذهبت بها الأفكار مذاهب شتى حتى أفاقت على صوت دقات الساعة وهى تعلن الرابعة والنصف ، فنهضت مذعورة وأعادت النظر إلى الساعة مرة أخرى كأنها لا تصدق أن الموعد قد انقضى دون أن يأتى هذا الذى كانت تنتظره .

وبينما هى فى حيرتها وقلقها وإذا بجرس التليفون يدق دقات ناعمة رقيقة كأنها تنبعث من آلة موسيقية فقامت (دريه) ورفعت السماعة ثم هتفت قائلة :

ـ ألو .. ألو .. مين .. ؟

ـ أنا عاطف ياديدى ..!

ـ عاطف . دكتور عاطف أين أنت الآن ؟

ـ هنا بالقاهرة يا حبيبتى .

ـ متى وصلت بالسلامة ؟

ـ وصلت من ساعة فقط .

ولماذا لم تأت إلى إننى فى انتظارك منذ الصباح .

كنت أود ذلك ياعزيزتى ولكن عمى محسن بك ماكاد يلقانى حتى أخذنى معه إلى داره هنا فى مصر الجديدة .

ـ وهل أراك الليلة ؟

ـ لا أظن ذلك يا حياتى لأن فيفى ابنة عمى أعدت لى حفلة بمناسبة وصولى ، ولن أستطيع مغادرتها ويمكنك أن تحضريها لأراك .

ـ لا..لايمكننى الحضور الليلة سأنتظرك غداً وأرجو ألاتتأخر ياحبيبى

ـ إذاً فإلى اللقاء ياأبدى .

وألقت دربه السماعة وهى ساهمة شاردة بفكرها فى واد عميق من الذكريات . وتحركت نحو نافذتها فأخذت تتطلع منها إلى أشجار الحديقة الوارفة وشمس الربيع الغاربة والطيور سابحة فى الجو عائدة إلى عشها بعد عناء يوم طويل ..

تواردت على ذهنها الأفكار ، فتارة ترى فى أحلامها وقد خامر ابنة عمه وراحا يرقصان على أنغام الموسيقى وتارة تراه وقد التف حوله سرب من حسان المجتمع وغيد الليل كل منهن تريده لها . وهو حائر يدور بعينيه فيما حوله كمن يبحث على شىء ثمين فقد منه ..

وأفاقت إلى نفسها فوجدت الليل قد أسدل ستائره على الدار وراحت نجومه تلمع فى صفحة السماء والقمر يرسل شعاعه الفضى ليؤنس به وحدة الحائرين . فقامت تتعثر فى خطاها وأضاءت الأنوار ثم جلست إلى مكتبها لتضيف سطورا قليلة إلى مذكراتها فقالت ..

(اليوم عاد حبيب القلب إلى أرض الوطن .. عاد ولكن عمه الذى اختطفه ليحد من حريته ويرغمه على أن يجالس ابنته الدميمة .. نعم إن هذا العم العجوز يتمنى أن يزوج ابنته من عاطف الذى أخذ نجمه يلمع فى سماء الطب .. آه كم أتحرق شوقا لرؤياه .. الساعة الآن التاسعة أظنه قد افتتح الرقص الآن .. انى اشفق عليه من كثرة التعب طوال يومه المنصرم بين سفر ولقاء وسلام .. يا لقلب هذا العجوز الماكر الذى لا يصبر عليه حتى يستريح من عناء السفر . متى تنقضى أيها الليل ..

وطوت مذكراتها وتمشت نحو مخدعها لترى فتاها فى موكب الأحلام .

وفى الصباح قامت وتزينت بأجمل زينة وتدثرت بأغلى ثياب وتحلت بأثمن حلى . ثم جلست تنتظر حبيبها ، وأخذت الساعات تمضى سراعا دون أن يجىء حتى مضى اليوم وكان اليأس قد استبد بها فراحت تخلع حليها وثيابها وتقذفها هنا وهناك وثارت ثائرتها واستولى عليها القنوط ..

وانتصف الليل الطويل وهى جالسة إلى جانب النافذة تحادث نفسها حديث الحائر الذى يستشير الليل دون أن ينتظر منه جوابا ..

كانت ليلة طويلة زرفت فيها (دريه) دمعاً كثيرا وتأوهت تأوهات ألمة وهى تناجى حبيبها الغائب حتى انبثق نور الفجر وسقط شعاع من الشمس فوق مخدعها . ولم تنهض كعادتها بل نادت الخادمة وأمرتها أن تستدعى الطبيب ليراها ..

كانت المسكينة محمومة ..!

وبينما كانت الخادمة فى طريقها كانت سيارة تقف تجاه الباب ويهبط منها (عاطف) ويسألها عن سيدتها فتخبره بمرضها فيندفع كالمجنون نحو الداخل وما أن يراها مستلقية على فراشها حتى يتقدم منها مشدوها وهو يقول :

ـ دريه .. دريه .. مابك ياحبيبتى .. ؟

ـ عاطف .. عاطف .. هل جئت .

وهمت جالسة على الفراش واستقبلته لكنه ما كاد يتناول يدها بين راحتيه حتى أحس بحرارتها فقال :

ـ إنك مريضة ياعزيزتى .

ـ نعم أنا مريضة . وأنت .. أنت سبب مرضى !

ـ لماذا ..؟

ـ لقد سهرت ليلة الأمس بعد انتظارى لك طوال اليوم ولم تجىء فتألمت كثيراً وأمضيت ليلتى فلما كان الصباح وجدتنى كما ترانى .

ـ معذرة .. لقد كادت ليلة الأمس أن تكون أسوأ ليلة فى حياتى ..

ـ أسوأ ليلة .. ماذا تقول .. ؟

ـ نعم فلقد وصلتنى بالأمس برقية من زوج شقيقتى (عنايات) المقيمة فى أسيوط يخبرنى أنها فى النزع الأخير وتود أن ترانى ..

ـ ماذا ..! عنايات مريضة .. ياإلهى ..

ـ صبرا يا حياتى حتى أتمم لك ..

ـ أتمم .. أتمم ..

ـ ما كدت أعلم بالخبر حتى سارعت بالسفر فى سيارة عمى ووصلت إلى هناك فوجدتها .. (يصمت برهة) ..

ـ ماذا وجدتها ..؟

ـ (وهو يضحك) ـ وجدتها فى أحسن صحة !!

ـ ولماذا أزعجوك إذاً بهذه البرقية ..

ـ لأنها (حامل) ولايمكنها السفر لرؤياى . ففكرت هى وزوجها فى إرسال هذه البرقية لكى أسافر إليهما . وقضيت ليلة الأمس هناك وكلى أسف لغيابى عنك ولكن ها أنذا قدمت إليك ..

ـ لقد تسببت فى أرقى وسهدى بل فى مرضى هذا .
ـ ان مرضك هذا من نوع آخر لا يعرفه سواى ..؟
ـ ألأنك طبيب .
ـ بل لأنى محب ..
ـ وما عرفت فى مرضى أيها المحب .
ـ عرفت أنك مازلت غاضبة منى ..
ـ غاضبة منك أبداً .. أبداً ..
ـ إذا فخذى قرصا من هذه الأقراص (أخرج من جيبه علبة صغيرة وقدمها لها)
ـ ما هذه الأقراص ؟
ـ إنها علاجك ..
ـ (وأخرج من جيبه الآخر علبة أخرى) فقالت له
ـ وما هذا أيضا ..
ـ انه علاج لنا سويا .. دواء للحب ..
.. (تتناول منه العلبة لتراها وتهمس)
ـ دواء للحب ..
ـ نعم إنه دواء للحب ولنا !! إفتحيها ..
(تفتحها فتجد بداخلها سوارا ذهبياً مرصعاً بالأحجار الكريمة)
ـ إنه سوار ذهبى .. لمن هذا ياترى ..؟؟
ـ لك . وهل لى غيرك ياحبيبتى ..
ـ ماذا .. أحقيقة ماتقول ..
ـ نعم يامنای ..
ـ إنه جميل .. جميل لأنه منك .. (تنظر إليه وتبتسم)

ـ كل شيء لك ياديدى .. ألا تصدقين ..

ـ (مغتبطة) كيف لا أصدقك وقد أعدت لى الحياة بعد العدم ولكن .. فيفى ..

ـ فيفى .. يالك من سازجة .. وهل تذهب بك الظنون إلى مثل ذلك .

ـ لم أظن شيئا ولكن .. (تصمت)

ـ نعم انها ابنة عمى وأولى الناس بى لو لم تكن شقيقتى ..

ـ شقيقتك كيف ذلك . ؟

ـ نعم إنها شقيقتى فى الرضاعة .

ـ ماذا أسمع .؟!

ـ لا تعجبى ياديدى من ذلك فكم فى الحياة من عجائب مطمورة عن أعين البشر . ان أم فيفى قد أرضعتنى بعد وفاة أمى ولعل فيفى التى تفكرين فيها هى التى تحبذ زواجى منك .

ـ يا لسعادتى .. بل يا لسعادتنا سويا .

. . وبعد أيام سعد الزوجان الحبيبان وراحا ينهلان من رحيق السعادة ما طاب لها أناء الليل وأطراف النهار ؟

* (الصبر) أكبر معهد لفن الأمل .

* (الليل) بلسم لجروح الحائرين .

* (القبر) هو المسكن الوحيد الذى ندخله بدون (خلو)

* إن أكبر نعمة وهبها الله للإنسان ، ليست المال أو البنون أو القوة البدنية . ولكنها نعمة النسيان .. نسيان الموت

صراع الضمير

... إلى روح صديق عزيز ..

عندما أقبل الليل بظلامه الموحش وسكونه الرهيب وخلت الطرقات من المارة وراح الحى بأكمله يغط فى نوم عميق عندئذ تحركت قدماى نحو نافذتى وأخذت أتطلع منها إلى ذلك الشارع الكبير الذى خيم عليه الصمت فأمسى مقفرا إلا من مصابيح خافتة متناثرة هنا وهناك وحولها ظلام دامس مخيف. ولقد خيل لى أن هناك أشباحا تتلاعب وراء هذه الأبنية مستترة بذلك الوشاح الأسود من الليل !

وهبت الريح وتساقطت الأمطار فأغلقت النافذة وعدت الى مكتبى لأسطر قصتى ، وأخذت أناملى تعبث بخصلات شعرى وتشتت فكرى فى شتى المناحى دون أن يجد موضوعا شيقا يصلح لقصة الأسبوع .

وكاد الليل أن ينتصف دون أن أسطر على الوريقات شيئا فوضعت القلم يائسا وتناولت من أمامى مجموعة الصور أقلبها واحدة بعد الأخرى إلى أن وقفت عند صورة صغيرة .. هى صورة صديقى (ممدوح) ذلك الشاب الهادىء الأطوار الذى صاحبته فى بؤسه وشقائه وسعادته وهنائه فعرفته مجاهدا فى سبيل الحياة صبورا على البلايا والخطوب ، لازمتنا الصداقة منذ أيام الدراسة وإلى أن عصفت بنا الحياة كل منا فى طريق .

وأخيرا التقينا ولكن لقاءنا كان على غير ميعاد . ففى إحدى الليالى بينما كنت أتأهب للنوم وإذ بالباب يطرق طرقات متواصلة مزعجة وكان الطارق يحمل لى خبرا مؤسفا لحادثة قد وقعت لممدوح إذ صدمته سيارة مسرعة وهو يعبر الطريق بالقرب من دارهم .

وكان لذلك الخبر فى نفسى وقع أليم لما عرفته من كريم خصاله فذهبت مسرعا إلى ذلك المستشفى الذى حل به الصديق ولكن الطبيب حال بينى وبين رؤياه فى تلك الليلة لفداحة الحادث فذهبت إليه فى الصبـــاح ودخلت حجرته بخطوات متواهنة حزينة وسبقتنى عينى إلى حيث كان مستلقيا وسط هـذا البياض الناصع وقبل أن أتفحص بشرته التى شوهتها الجراح سمعته يهمس ..

ـ هل جئت ياصديقى العزيز ، كنت أعلم جيدا أنك لابد آت لانه لم يبق لى فى الحياة غيرك .

وحاولت أن أبدد مافى نفسه من وحشة وألم لكنه كان يرد (كنت أود أن أموت لأننى لا أستحق الحياة)

ودهشت لكلماته هذه فقلت مستفسرا .

ـ أصدقنى القول يا ممدوح هـــل أنت الذى القيت بنفسك أمام السيارة أم ماذا حدث .

فأجابنى وقد علت وجهه مسحة ابتسامة باهتة

ـ لم ألق بنفسى ياصديقى ولكن وراء ذلك قصه من النوع الدرام الذى يحطم القلوب ويدمى العيون .

ـ وعاد إلى صمته فقلت :

ـ أتراها قصة يأس وانتحار . أم مصادفة من مصادفات القدر .؟

ـ بل قصة الدهر .. قصة الحب والتضحية من أجله . آه لكأنما يحز

فى قلبى سكين كلما ثارت ذاكراتى بها ولكن ياصديقى سأقصها عليك علك تستطرها لقراتك فتكون عبرة لغيرى .. نعم سأقصها عليك لأنى ما اعتدت أن أخفى عنك شيئاً :

ـ ونظر إلى مرة أخرى وتثبتت عيناه فى عينى وأنشأ يحدثنى بصوت خفيض كأنه آت من جوف القبر فأرهفت إليه أذنى وسمعته يقول :

تعلم ياصديقى بنشأتى فى ذلك البيت الكبير الذى كتب على أن أكون فيه وحيدا بعد أبواى ولقد كانت (عزيزة) تلك الفتاة البريئة التى وصفتها لك مرار كانت تبادلنى الحب الطاهر الشريف منذ أيام طفولتى وكانت إلى جانبى فى محنتى التى قضيتها بلا عمل .. تدخر مصروفها لتقدمه إلى من وقت لآخر . كانت تحببنى فى الحياة بعد أن كنت كارهها .. كانت تبعث فى قلبى الأمل بعد أن كاد اليأس يطبق عليه ، كانت هى مسلاتى وملهاتى فى تلك الحياة .

وذات صباح بينما كنت أتطلع فى سطور الصحيفة اليومية وجدت إعلانا فى ركن الوظائف فحواه أن دائرة (رشوان بك) تطلب مهاونا للزراعة فذهبت توا إلى مقر تلك الدائرة . ولأول مرة ياصديقى أجد الباب مفتوحا على مصراعيه أمامى فعينت فى الحال وطلب إلى السفر فوافقت شاكرا وذهبت إلى حبيبتى أبشرها ، لكننى لم تكد تعلم بخبر رحيلى حتى انهمرت من عينيها العبرات فشددت على يدها وأنا القى على مسامعها عهدى الذى قطعته على نفسى الا أفتح قلبى لسواها . ولن تنقص الأيام من حبى لها شيئاً .. ومدت يدها تودعنى والدموع تكاد تخنقها . وغادرت القاهرة لأول مرة . وهناك فى تلك القرية المنعزلة بين الحقول الشاسعة الخضراء تركنى القطار ومضى فأخذت أتلفت حولى يمنة ويسرة لأرى الأكواخ الحقيرة التى جعلت لهذه الفئة الكادحة من المزارعين ورأيت هناك فى أقصى القرية بيت صغير جميل مشيد بالطوب الأحمر وعلى جدرانه بعض النقوش

علمت فيما بعد أنه منزل رشوان بك صاحب الدائرة الذى يقيم فيه هو وابنته الوحيدة بعد وفات زوجته . ولقد أمر لى بحجرتين منفردتين من الطابق الأول فيه . ورضيت بحياتى الجديدة التى خطها لى القدر ولم أنس أن أكتب لحبيبتى رسالة فى كل أسبوع لأصف لها حياتى وأشكو لها ألم الفراق . ولم يكن فى تلك القرية مايبعث على السلوى أو المرح فكنت فى كل ليلة أجد نفسى وسط حلقة من المزارعين ، يسمعنى كل منهم مغامراته فى الحب أو الشجاعة وكنت أصغى لأحاديثهم العذبة الساذجة وأجد فيها ترويحا لنفسى وبعض السلوى لقلبى الحائر .

ولم يمض الشهر الثانى وأنا كذلك حتى لمس رشوان بك ما بذلته من جهد فى زراعاته فأضاف إلى مرتبى خمسة جنيهات دفعة واحدة ففرحت بذلك كثيرا وملأنى الأمل لولا ما كنت أجده من .. (فيفى) ابنة رشوان بك . فلقد كانت تغازلنى فى عذرها ورواحها وحتى فى حضرة أبيها . لم يكن يخلو حديثها معى من التلميح والغمزات وهذه النظرات التى يسمونها (لغة العيون) وعلى الرغم من حرمانها نعمة الجمال كانت تريد أن أتمادى معها فى غرامها الموهوم ولكن حبى لعزيزة كان مسيطرا على قلبى حينذاك

وفى ظهيرة يوم من أيام الشهر الثالث بعد أن عدت من الحقل متعبا أرسل لى رشوان بك يدعونى لمقابلته فوا فذهبت إليه وما كاد يلقانى حتى قابلنى على غير عادته إذ استقبلنى بالترحيب وأمرنى بالجلوس فجلست وأنا لاأدرى ماسبب كل هذه الحفاوة بى ولماذا لم تكن مقابلته لى كذلك منذ التحقت فى خدمته . وربت على كتفى وهو يقول . بارك الله فيك ياولدى لقد أظهرت من الجهد والأمانة مالم يأت بهما غيرك وإننى لحائر أزاء ذلك كيف أكافؤك على مجهودك ورفع يده وهوى بها على كتفى وقال :

ـ أننى سأهديك خير هدية . سأزوجك ابنتى (فيفى)

وما كدت استمع تلك الجملة التى فاه بها حتى اسقط فى يدى وأخذ لسانى يردد :

(ولكن .. ولكن) فقاطعنى بقوله :

ـ لا تعارضنى يا ممدوح . أنها وحيدتى ، وستكون ثروتى بين يديك وما أظنك ترفض ذلك .

وخرجت من عنده ساهما سابحا فى بحر الحيرة تتنازعنى الأهواء بين سلطان قلبى وقيود عملى . ولقد زارنى الشيطان مرارا فى تلك الليلة ولاح لى شبح الضمير وهو يقترب لحظة ويبتعد أخرى ، ناهيك بأننى لم أتذوق طعم الكرى فى ليلتى إلى أن لاحت تباشير الصباح وهممت بارتداء ملابسى ، وإذا برشوان بك يطرق الباب بأنامله الرقيقة فقابلته باحترام وكان أول سؤال بادرنى به : لعلك تكون قد فكرت جليا فى موضوع الأمس؟ وإلا فما رأيك .؟

فى هذه اللحظة فقط ياصديقى قد اختفت من أمامى صورت (عزيزة) وحل محلها المال والجاه فوجدتنى أجيبه بالرغم منى

ـ لقد وافقت على الزواج من (فيفى) ولى عظيم الشرف .

ثم نظرت إلى وجهه فوجدته قد علاه البشر والارتياح وأخذ ينادى بأعلى صوته على الخدم أن يعدوا العدة للزواج المقبل . !!

وفى ليلة ليلاء أصبحت زوجا لفيفى بل صهرا لرشوان بك ونشرت الصحف نبأ الزواج وعززته بصورة للعروسين .. أنا وفيفى ..

ولا أدرى كيف تم هذا .. ومنذ ليلة الزفاف وقد التصقت بأسمى تلك الكلمة الممقوته (ممدوح بك) أو البك الصغير .. كما كانوا يدعوننى .

وأصدقك القول ياصديقى بأننى كنت غير مستريح إلى ذلك اللقب الجديد لأنه قد حرمنى من مجالسة الفلاحين وسماع أحاديثهم وشكواهم .

وبعد ما هدأت الضجة وانصرف المهنئون نظرت إلى وجه زوجتي .. ابنة الثرى ولأول مرة يصفعني الواقع صفعة قوية فيتحرك ضميري ويهمس في أذني قائلا :

ـ أيها الخائن .. هل نسيت حبيبتك عزيزة أين حبك ، أين أيام بؤسك أين عهدك

ونظرت الى زوجتي مليا فوجدت صورتها قد تحولت الى صورة حبيبة الماضي .. (عزيزه) فأهتف من أعماقي :

ـ يا إلهي لقد أحنثت بوعدي .. يالي من خائن ..!

وفي كل يوم يتكرر ذلك الصراع بيني وبين نفسي ، وكأنني قد كنت في حلم مزعج ثم أفقت منه فوجدتني مازلت فيه .. لقد كانت زوجتي من ذلك النوع الذي لايعرف شيئا من أمور الحياة سوى الملابس والرقص والكأس .. وأنا لا علم لي بشيء من ذلك فكانت تشاطر ابن خالتها في رقصها وكؤوسها ..

صحوت ياصديقي فوجدتني كقطعة من الأثاث في بيت الزوجية المنكود اذا طلبت شيئا كان على اجابته ولاأدري ما سبب ذلك .. المال .. المال الذي سيطر على كل شيء لكنه لم ينتزع من قلبي بعد اسم « عزيزة » فلقد عاودني حبها بل أمسيت لا أذهب الى مخدعي الا اذا شاهدت صورتها الصغيرة التي أحتفظ بها معي ولقد مضى مايقرب من الشهر دون أن أتلقى منها رسالة واحدة : وسألت نفسي مرارا : ترى ما الذي جعلها تكف عن مراسلتي .؟

هل علمت هي الأخرى بخبر زواجي .. لقد كانت حياتي صراعا دائما ياصديقي ..

وفي اليوم الأول من الشهر الثاني لزواجي من تلك الفتاة وقفت أمامي

وهى مرتدية أفخر ثيابها ومتزينة بأجمل زينتها . جاءت لتخبرنى أنها هابطة إلى المدينة وبرفقتها (سمير) ابن خالتها فى عربة أبيها الفاخرة ، وكان طبيعيا أن أرفض طلبها هذا فثارت وزمجرت كأنها مرجل يغلى وبادلتها بعض الألفاظ التى تلائمها وبين الشجار والصياح سمعت منها كلمة .. (فلاح) فأجبتها ثائرا مهتاجا :

ـ نعم أنا فلاح وهل تكونت ثروة أبوك إلا من دم الفلاح ، لقد ضللت الطريق يوم قبلتك زوجة لى ، ولكنى لن أصلح لك زوجا بعد اليوم لأن الفلاح يجرى فى دمائه الشرف . الشرف الذى ليس له فى برامجكم حساب . سأتركك تعبثين وتمرحين كيف تشاءين مادام هناك مال وهناك عربة فاخرة ، وانطلقت من فمى كلمة كانت كافية بأن أترك البيت ومن فيه

ومشيت الهوينى نحو محطة القرية وفى يدى تلك الحقيقة التى كنت قد أتيت بها من القاهرة : نعم لقد طلقت زوجتى وطلقت المال معها وعدت إلى القاهرة لكى ألقى حبيبة القلب (عزيزة) وكانت ليلة عاصفة هوجاء فتحت فيها باب حجرتى فأبصرت على الأرض قطعة من الورق ملفوفة حول نفسها والى جانبها صحيفة من تلك الصحف التى نشرت صورتى مع فيفى اللعينة وتناولت الورقة لأقرأ ما عليها فاذا بها (ممدوح . . إليك وحدك أكتب لأنى مازلت آملة أنك ستعود الى هذه الدار التى شهدت أروع حب طاهر شريف بينى وبينك . لذلك قد تركت لك فيها رسالتى الأخيرة وان كنت قد تناسيت ذلك الحب فهل نسيت عهدك لى حتى أغراك حب الجاه وبهرك رنين الذهب ، لقد تزوجت أنت وسعدت بزواجك اما أنا فلا تأمل أن ترانى ثانية لأنى ذاهبة إلى القبر بعد ما سبقنى قلبى مع قلوب الأبرياء وسأكون ضحية من ضحايا الحب . . سأرشف السم

وأودع الحياة التى لاخير فيها ولاوفاء ، وإنى لأودعك أيضا لأننى مازلت أحبك .. عزيزه)

قرأت تلك الرسالة ياصديقى فجاش قلبى بالأسى وتساقطت الدموع من عينى عليها وأنا مذهولا لا أصدق وأخيرا هرولت مسرعا إلى منزل أبيها فوجدت سرادقا كبيرا مقاما أمامه ينبعث منه صوت المقرىء وهو يرتل القرآن الكريم واقتربت من ذلك السرادق وهمست فى أذن أحدهم لمن يكون ..؟ فنظر إلى الرجل وأجابنى بحسرة وألم : إننا نحى ليلة الأربعين لابنتنا عزيزه يامدوح ..!

لقد كان ذلك الرجل عمها الذى يعرفنى كل المعرفة .. وما كدت أسمع منه ذلك حتى تحركت قدماى إلى حيث لا أدرى واحتجبت الدموع فى عينى فلم أعد أرى إلا شبح يماثل تلك الفتاة التى أحببتها ونقضت عهدها فقدمت حياتها ثمنا ، وياله من ثمن باهظ .. وتنبهت إلى أننى المجرم الذى قضى على هذه النفس الطاهرة التى فضلت الموت على الحياة واحتفظت بحبها بين جوانحها . ونظرت إلى السماء بعين دامعة وكأننى ألوم القدر على فعلته ، ولكن لقد سبق السيف العزل ..

لحظات رهيبة تغلب فيها الضمير على الشيطان فظللت أشق الطرقات والميادين على غير هدى لا أبصر أمامى سوى صورتها وهى تتلاعب على كل شىء أراه فاذا بى أعدو خلفها غير آبه بتلك السيارات المسرعة هنا وهناك إلى أن أبصرت فجأة مصباحى إحداها وقد تصوبتا فى عينى المليئة بالدموع فلم أبصر حولى شيئا ولم أشعر بنفسى إلا هنا .. بين يدى الطبيب

وصمت صديقى الجريح برهة ثم عاد يقول :

ـ أما زلت تسألنى عن حب الحياة ياصديقى .. إننى أريد أن أغادرها :

وأخذت ألقى على مسامعه عبارات الصبر والسلوان لكنه كان يائساً

قانطا . وبينما نحن كذلك وإذا بالطبيب يدخل وخلفه إحدى الممرضات حاملة أدوات الجراحة وهمس الطبيب فى أذنى قائلا :

ـ سنقوم اليوم باجراء العملية .

وتركت الصديق فى حجرة العمليات بين يدى الطبيب وذهبت إلى منزلى ومضت أيام ثلاث بعد اجراء العملية كنت أعوده فى كل يوم فأجد حالته تزداد سوءا . الى أن ذهبت اليه ذات صباح فقابلنى الطبيب عابساً متجهم الوجه فسألته عن حال المريض فأجابنى بصوت مملوء بالحسرات :

ـ بكل أسف ، لقد بذلت جهدى ولكن يد القضاء كانت أقوى من يد الطبيب .

وبكيت الصديق بدموع غزار ورأيت هناك أناسا يبكون علت من الطبيب أنهم من أقرباء ممدوح .

وهمس فى أذنى هاتف يقول : هل تراهم قد جاءوا ليبكوا الحبيب الراحل أم ليتقاسموا نصيبهم فى المنزل الكبير .

وذهب الصديق الى مقره الأخير ومن أعاجيب القدر أن يكون قبره ملاصقا لقبر حبيبته (عزيزه) ..

ولقد ذهب كل منهما ضحية الآخر وطويت صفحتيهما من عالم الوجود وعدت بذاكرتى المبللة بالدموع فاذا بى مازلت جالساً الى مكتبى والصورة الصغيرة بيدى فألقيتها جانبا وتناولت القلم لأسطر قصة (صراع الضمير) ؟

* الغنى الذى يستعبده ماله كالخنزير الذى يخنقه دهنه (شيوس)

* ما أعجب المرأة .. إذا ناقشها الرجل وانتصر عليها كرهته وإذا انتصرت عليه إحتقرته .!

obeikandl.com

دار

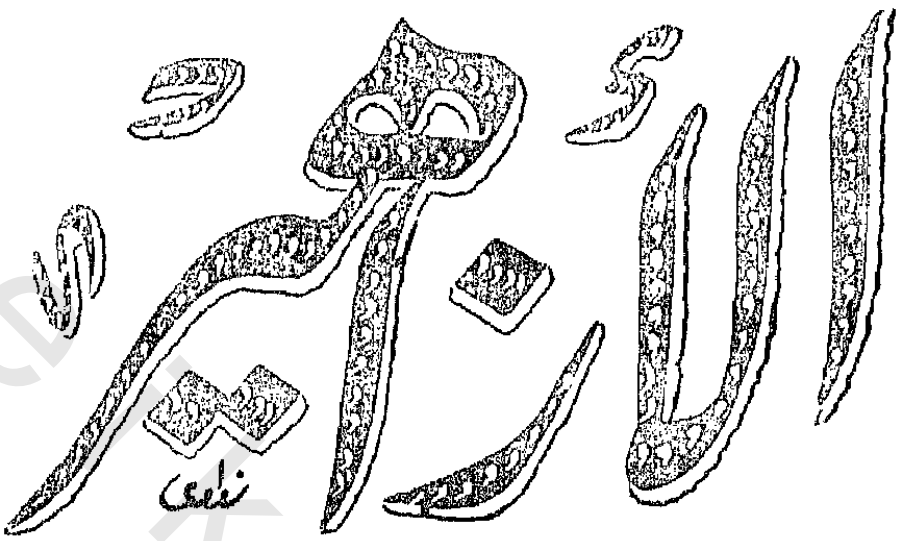

للتأليف والنشر والتوزيع

تعمل على نشر الأدب الاجتماعى فى المحيط الشعبى ، وتشجع صغار الكتاب والناشئين على نشر مؤلفاتهم المطابقة لأهدافها .

وسوف تقدم (فى فترات متقاربة) مجموعات من القصص والمقالات القوية فى كتب قيمة بقروش زهيدة .

فاتصل بها أيها الأديب واستعلم عن شروطها وأهدافها تفيدك فائدة كبرى .

المراسلات

عبده سلطان

٩ شارع محمد بك البرعى - السيدة زينب - مصر

دماء الفضيلة

أنا القاتل .. أجل أنا القاتل ولا تعجبوا من ذلك فأنا لست مخبولا أو مجنونا كما تتوهمون ..

سمعته يصيح بهذا الاعتراف الرهيب وسط جمهرة من القوم الذين أتوا على صراخ تلك المرأة المضرجة فى دمائها تحت قدميه والتى صارت جثة هامدة وتساءلت مع السائلين فقيل لى أن هذا الرجل قد قتل زوجته ولا يعلم أحد ما الذى دفعه على ارتكاب جريمته هذه .

وجىء به مكبلا بالأغلال يسير بخطوات متواهنة مستضعفة وهو محنى الرأس محطم الأعصاب عابس الوجه . ولم يكد رجل القانون يلقى بصره عليه حتى بادره فى ذلة ومسكنة :

ـ ياسيدى المحترم اننى سأوفر عليك عناء التحقيق وأعترف لك بكل شىء . فأنا القاتل وأعرف مصيرى جيدا ولكننى أرجوك أن تسمع قصتى من البداية ولا ترمينى بالحماقة والطيش قبل أن تعرف مأساتى . وتململ الرجل فى جلسته وسبح بناظريه فى الفضاء البعيد وابتدأ يقول :

(تبدأ قصتى ياسيدى يوم أن كنت موظفاً صغيراً فى وزارة المالية .. وكنت يومذاك فى الخامسة والعشرين من عمرى مكتمل الشباب ناضج الرجولة وكانت (سنيه) هذه التى قيدتمونى بالأغلال من أجلها . كانت ترد على دار الوزارة فى بداية كل شهر لتتناول معاش أبيها .

وعلى مر الأيام تعارفت عليها حتى ذلك اليوم الذى وجدتنى سائرا إلى جانبها تحدثنى عن أمها العجوز وحياتهما المتواضعة ولم ينقض العام حتى كانت زوجتى . نعم تزوجتها وأقمت معهما فى دارهما الصغيرة بعد أن تناثرت تلك الجنيهات القليلة التى اقتطعتها من قوت يومى لذلك الغرض . ومضت فترة قصيرة من الزمن ثم انتابنى المرض وأخذ يتفشى فى جسدى النحيل واعتكفت فى الدار عدة أيام قمت بعدها متحاملا على نفسى وواصلت عملى بجسد محموم ، ولكن القدر أبى على أن أتحداه فبعث لى برسالة من شخص مجهول يقول لى فيها : (أيها الزوج المخدوع . يا لك من غر سازج ، ألم تشعر حتى الآن بما تلطخك به زوجتك من عار . إنها تستغل طيبتك وكرمك فتكيل لك من الخداع والخيانة مايجعلك مضغة فى الأفواه ويصورك فى نظر الناس كجرثومة فتاكة . إن زوجتك تخونك مع شاب ثرى يأتى إليها كل يوم ليأخذها معه فى سيارته ويمضى بها إلى مكان ما لتعود بعد ساعات وهى شاربة من كأس الاثم متشحة برداء العار ، إننى لست واشيآ بينك وبينها ولا منفرا لك منها . ولكنها الحقيقة المرة ويمكنك أن ترى المأساة بنفسك لو قدر لك ذلك) .

قرأت ذلك الخطاب ياسيدى فدارت بى الأرض وصممت على الانتقام فلاحظتها حتى تحققت لدى الشكوك وتحينت الفرصة . وانتظرت . . حتى جاءت تلك السيارة وركبت فيها الزوجة الخاطئة ثم سارت فسرت وراءها فى إحدى سيارات الأجرة على بعد قليل .

ولشد ما كانت دهشتى حينما وجدت أن السيارت الفاخرة لم تمض كثيرا بل اكتفت بمسيرة قليلة ثم وقفت أمام بيت كبير من تلك البيوت التى يخيم عليها السكون والرهبة وهبط الشاب فى دلال وميوعة ومن بعده زوجتى ثم دخلا الدار وتوغلا فيها وخشيت الا اتمكن من متابعتهما

فدلفت خلفهما مسرعا . وما أن رأتنى الزوجة الفاجرة حتى صرخت صرخة مدوية (زوجى .. زوجى) وفى لمح البصر كانت سيارة الشاب تنهب الأرض وهو بداخلها فارا من الموت المحقق تاركا زوجتى حائرة مذهولة من هول المفاجئة .

ولم أفق إلى نفسى أو أعود إلى رشدى إلا وهى جثة هامدة مضرجة فى دمائها .. دماء الفضيلة . ثم التفت حولى فوجدت الناس قد تجمهروا على صراخها . وأصدقك القول يا سيدى بأنى كنت أحس بنشوة لكل ضربة من ضربات السكين فى جسدها وأنا أرى الدم يتطاير على نصل السكين . وصحت فى القوم لا بد دهشتهم . « أنا القاتل

أجل ياسيدى أنا القاتل وأنا المطعون فى شرفه ! ؟

وسيق الرجل إلى ساحة المحاكمة وقبل أن يقول القضاء فيه كلمة كان قضاء الله قد سبقه إليه ؛ فمات فى سجنه وهو رهن التحقيق .

وآه لو يعلم المسكين فى قبره أن عشيق زوجته قد قتل هو الآخر إذ تصادم بعربته اثر فراره من الموت بدقائق .

ولعل الأقدار قد حكمت حكمها هى الأخرى وعلى الباغى تدور الدوائر ؟

قال الشيطان :

ـــ لابد أن تختار بين قتل خادمك وضرب زوجتك أو شرب كأس من الخمر

فقال الرجل : أشرب الكأس

وعندما ثمل ضرب زوجته وأقبل الخادم ينقذها من بين يديه فقتله وضحك الشيطان ! ؟

اشـــارات

كانت تقطن فى الدار المواجهة لداره وكانت منطوية على نفسها عزوفة عن الناس ، وذات يوم شاهدها وكانت تطل من النافذة فأشار لها عفواً بتحية الصباح وشد ما كانت فرحته عندما بادلته التحية بإشارة منها .

وفى اليوم التالى أشار لها بنفس التحية فبادلته أياها بابتسامة مرحة .

وبعد أيام أشار لها بضع إشارات فهمت منها أنه يدعوها إلى نزهة قريبة فوافقت وأشارت له بالإيجاب وكان أن هبطت إلى الشارع فاسرع الخطى خلفها إلى أن لحق بها .

وما أن التصق بجانبها حتى تبسم لها وهو يقول: صباح الخير. ولكنها لم تجبه على تحيته فكررها مرة ثانية وثالثة فأجابته بتهتهه متقطعة دا ـ ددا ـ ؟

لقد كانت جولييت (خرساء)

من روضة البؤس وحديقة الشقاء

تنبعث الصرخة الأولى

الخبز الملوث

هدية من هدايا القلم إلى :

قصور الأثرياء وحصون السعداء

الخبز الملوث

يصدر قريبا عن دار الأزاهير . . بقلم كاتب الآلام (عبده سلطان)

شكر وعرفان

أقدم جزيل شكرى الى الذين عاونونى بسديد آرائهم ونبيل مجهودهم وجميل إرشادهم حتى تمكنت من إصدار الكتاب الأول من سلسلة (الأزاهير)

ولقد شاءت الظروف أن احتجب عن قرائى فترة من الزمن ثم أعود إليهم حاملا لهم فى حقيبتى باقة من الآمال والآلام وهاهو كتابى الأول وقد حوى بين ضفتيه أكثر من زهرة ؟ ؟

وانى لأعاهد قرائى وزملائى على أن أظل للحق مناصراً ولأبناء العروبة خادماً ومن أجل الشعب مثقفانياً حتى تسعد مصر وتهنأ أرواح الشهداء .. والله أسأله التوفيق

عبد سلطان

obeikandl.com